منكر ونكير

بحر الغرائب

خيال يرسم الحقائق

بقلم

يوسف جمدي بكن

ثمن النسخة عشرة قروش صاغ

الطبعة الاولى

obeikandl.com

obeikandl.com

عوّدت يا قلمي بياناً صادقاً

ما عابهُ ان لست أول من صدق

يكفي من التوفيق انك كاتب

وحي الضمير الى اللسان على الورق

يوسف حمدى يكن

obeikandl.com

كلمات

تمنيت ان اوفق لكتابة اثر : خلقي ، اجتماعي ، في نقائص الطوائف العاملة في نظامنا الاجتماعي ، وان لا يخلو كتابي من صحائف أدبية ، فيها ذكر نفر غير قليل ، من ادباء عصرنا ، الراحلين الى دار البقاء ، فلما ظهرت فصول الكتاب على التتابع في جريدة المقطم الاغر ، بشرني ذوو الفضائل بأنني وفقت لكتابة ما تمنيت ، فحمدت الله ، وانني لبادىء هنا بتدوين ما تفضل به العلماء الاجلاء اصحاب المقطم تعليقاً على هذا الاثر ، تحت آخر فصل نشر منه ، ففي هذا التعليق شهادة يطمئن بها فؤادي ، ولقد اكتفيت به من بين التقاريظ التي جاد علي بها اخواني من حملة الاقلام ، حفظهم الله ونفع بهم ما

يوسف حمدي يكن

التعليق

(المقطم) اتم حضرة الكاتب البليغ والباحث الاجتماعي الكبير يوسف حمدي بك يكن برسالة اليوم مجموعة هذه الرسائل التي تناول فيها جانباً كبيراً من مشاكلنا الاجتماعية والعمرانية بالبحث والتحقيق وافرغها في قوالب شتى تروق الخاصة وتقع وقعاً عظيماً في نفوس العامة ونشر مطويات طائفة كبيرة من المساوىء التي ايضج الناس منها ويتبرمون ويطالبون ولاة الامور والصحف باصلاحها وابتكر لهذا البحث النافع اسلوباً جديداً لم يسبق اليه التزم فيه ما عرف به من بلاغة السبك ودقة النظر وحسن التعبير وسلك طريقاً جديداً في لفت النظر وتنبيه الخواطر فكان لرسائله هذه من الوقع ما هي جديرة به فقد كان القراء ينتظرون هذه الاسبوعيات بفارغ الصبر ليطالعوا فيها الموعظة البالغة والبيان الساحر والنكات الادبية اللطيفة وليروا فيها وصف ما يخالج ضمير السواد الاعظم منهم في امور واحوال تمس حياتهم اليومية .

وغني عن البيان ان هذا الضرب من الكتابة شاق الطريق وعر

المسلك لا يقدم عليه الا كبار المفكرين والذين تحلوا بالادب الراسخ والشجاعة والاخلاص فالقراء يشاركوننا في نسج حلل الثناء لحمدي بك يكن ويشاطروننا الرجاء بأن يواصل هذه الخدمة العامة النافعة في عصر تتجه فيه قوى الامة الى بلوغ الفلاح والنجاح وترنو بابصارها الى الوصول الى مراتب الكمال .

obeikandl.com

منكر ونكير

مقدمة

في ليلة من ليالي شجوني ، قلبت صحائف لي ، كانت مطوية فنشرت ، أولاها ، « دقات على اوتار القلوب » ، وثانيتها ، « الليالي العشر » ، وثالثتها ، ما لا أزال أدونه من « السوانح اليوسيفية » في « مجلة المرأة المصرية » ، أطلت التفكير ، سألت نفسي ، ماذا عملت كتبت وكتبت ، فهل وفيت ؟ كلا

يا ويحنا ، ما اكثر نقائصنا ، كم بين عباد الله من اسيئوا ، في أموالهم ، وذويهم ، وانفسهم ، أولئك قوم ما جنوا ، بل نالهم الاذى على ضروب مختلفة ، من ايد لم يقسم لها ان تحسن الا خطأ ، تلك ايدي اناس من اخوانهم في الآدمية ، قليلون بنسبة المجموع ، كثيرون بعددهم ، لم تخل منهم طائفة من الطوائف العاملة في نظامنا الاجتماعي تعلموا ، ولم يتخلقوا ، فاضروا حين بدنا نرجي منهم الفوائد ، ما فكروا في اتمام نقصهم ، وهم قادرون عليه لو شاءوا ، هذا غاية العيب ، صدق « أبو الطيب » في قوله :

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

والطوائف العاملة كثيرة ، والجديرة منها بالبحث عن نقائصها الخلقية لا تقل عن العشرين ، فما الذي انت صانعه ياحمدى ، أتستطيع الدلالة على تلك النقائص ، وهل ترى في الدلالة عليها من رادع ، أم حسبت ان الذين اساءوا الى الناس بشد ازرهم الخلق يقنعهم مثل كلامك ، كم عابهم اهل النصح من زملائهم ، فلم يبالوا

اذهب عني أيها الهاجس ، فوالذي اقسم بالقلم و (علم الانسان ما لم يعلم) ، لا حار بن جيوش النقائص ، غير وان ولا متخاذل . آن والله للفضيلة ان تصفع الرذيلة ، انّا في عصر زادت فيه جنود الاصلاح فلم تذهب صيحات الحق كنفخة في رماد . سأكتب عشرين فصلا لكل طائفة فصل ، لن اقصد رجلاً معيناً . هذا قلم تعالى بحمد الله عن النيل من الافراد ، لكنني سأصور من كل طائفة رجلاً تجمعت فيه مساوئها . فينظر اهل البصائر الى أمراض تلك النفوس . هناك مواطن الاعتبار . و كم في العبر من علاج تشفى به الارواح

هكذا ناجيت نفسي ، وآليت عليها ان اكتب ، ثم نظرت الى الساعة ، فاذا بها حول الثانية عشرة ، قلت لا بد من الراحة ، مشيت الى غرفة نومي ، واضطجعت على فراشي ، فنمت

رأيت نفسي في ارض واسعة ، امامي برزخ ، لا يدرك الطرف مداه ، على رأسه اثنان في صورة البشر ، لكل منهما جناحا طائر ، قلت السلام عليكما قالا وعليك السلام ، قلت من انتما ، قال احدهما : انا حارس هذا البرزخ ، انه سبيل الذاهبين الى الجنة ، قلت اهذا هو الصراط ، قال نعم ، قلت . من الناس من

يقول انه (ارفع، من الشعرة واحد من السيف) ولا اراه كما يصفون، قال . ان الله يفعل ما يشاء ، قلت الا تأذنان لي بالمرور قال الآخر أتعرف احداً من اهل الجنة ، قلت سأسأل عمن اعرفهم ، الى ان اجد واحداً منهم ، قال ما اسمك ، فلما ذكرت له اسمي ، قال أأنت اخو الشاعر ولي الدين يكن ، قلت احببت ، قال انه هناك ، في نعيم مقيم قلت لله الحمد الدائم والشكر الخالد ، قال اتدري ماذا كانت خاتمة سؤاله ، قلت ومن أين لي ان ادرى ، قال . ان الملكين لما ارضاهما جوابه ارادا في النهاية ان يمازحاه ، فسأله احدهما . أأنت القائل

أيها الناس مالكم تبغضون الميتا
أتركوه يجد له جنة أو جهنما

قال اخوك . نعم ، قال الملك . ما عرفك الناس الا ميتا بالحق وقد تركتهم قبل ان يتركوك ، فماذا تطلب اليوم ، اجنة ام جهنما ، قال . ان الله لأرحم واكرم من ان يخرجني من سعير الدنيا الى جحيم الآخرة ، قال الملك . فسل ربك ان يهبك في الفردوس منزلا كما تتمنى . فيه من النعم ما تشتهي . انه سبحانه اكرم مسئول . فدعا ربه ، فأعطاه ماسأل ، (والله ذو الفضل العظيم) ، قلت ياسيدي استحلفك بالله ان تأذن لي بالمرور على هذا الصراط المستقيم ، قال . انك لن تبلغ نهايته ولا بعد حين . فليحملك اخي هذا الى منزل اخيك واشار الى زميله ، فحملني قلت السلام عليك ، فما انتهيت من السلام الا امام قصر بديع . تحيط به روضة تسر الناظرين . تعجبت . هذه

الروضة وهذا القصر، لا فرق بينهما وبين (المنيل) هناك قضينا اعوام الهناء، لم ينسها احدنا، دخلت القصر، رقيت سلمه، فمشيت الى غرفة كانت لاخي في مثيل هذا القصر بالمنيل وايقنت ان هذا ما سأله من ربه، فرأيت في الغرفة اثنين كلاهما في الصورة ولي الدين . لا فرق بينهما . ولا في ثوبيهما وقفت دهشاً، وقلت، ايكما ولي الدين، فتبسما معاً، وقال احدهما: يا أخي الست شاعراً ايكون لك شيطان يماثلك، ولا يكون لي نظيره، هذا شيطاني مات يوم مت وانه لاخو شيطانك فهو جليسي وسميري في دار البقاء، ومقر الهناء، أريت قصري وروضتي ما اشبه «المنيل» بهما، لم انس جلوسنا هنا للدرس، ولا يوماً قضيناه في الروضة بجانب النهر

ثم نظر الي نظرة الرضاء، وقال : لله درك، أعجبني رأيك الاخير في ليلتك هذه، قلت ومن حدثك بما ناجيت به نفسي، قال : اما علمت ان شيطانك أخو شيطاني، قلت اجل، قال انك لا تزورني الا في المواسم، وانه يزور اخاه في اكثر الايام، ولقد حدثه بما سمعه منك، فنقل اخوه الى الخبر، وبعد، فلا تتعب نفسك في تصوير الناس، انا يرد علينا أناس من كل طائفة، بينهم من جمعت فيهم نقائص طوائفهم، يقفون بين يدي (منكر ونكير) ملكي السؤال والعذاب، الاول يحرجهم بسؤاله احراجاً، والثاني يلهبهم بجلداته الهاباً، فاذا شئت، كتبت اليك ما يقع لاولئك في محكمتنا، قلت وكيف يصل الى كتابك، قال : سأجعل شيطانك ساعياً بالبريد بيننا

يضع رسالتي اثناء نومك تحت وسادتك ، فتجدها وتقرأها ، فقل الآن ، بمن تريد ان تبدأ . قلت بواحد من القضاة . قال انصفت . لابد من البدء بمن في يده حقوق العباد ، وبين شفتيه السعادة والشقاء لك ماطلبت . وموعدنا باذن الله الاسبوع المقبل . فسلمت عليه وعلى صاحبه . وصحوت اذ كانت الساعة تدق خمساً . هذا أوان يقظتي في كل صباح

— ١ —

القاضي

الى اخي حمدي يكن

زارني اليوم ، الشاعر العربي الفصيح الشيخ احمد مفتاح ، صاحب كتاب « مفتاح الافكار » . هذا أحد اساتذتك ، ومن الراضين عما تكتب ، من منظوم ومنثور ، سرني لقاؤه ، واذهب ضجري من وحدتي ، فقد ارسلت شيطاني ليوافيني بالجديد من اخبارنا ، وليس في قصري بين من رأيت ، من حور وولدان مخلدين ، من يليق بي ان احادثه ، هؤلاء خدم ، لا شأن لهم الا ان يفعلوا ما يؤمرون عانقت صديقي الزائر ، قلت له : لقد وافيت حين الحاجة اليك ، أنا هنا وحدي ، ذكرتك ، وتمنيت رؤيتك ، فكان بين التمني وقدومك كرجع البصر ، هذا ما كنا نسمعه عن حال اهل الجنة ، وانه لما وعد الله به عباده المخلصين ، فالحمد لمن صدق وعده ، قال : ولقد ذكرتك

وقمت ساعياً اليك ، فكأنني خرجت من غرفة الى غرفة ، وانت تعلم ما بين قصرينا من البعد ، هنا لا حاجة الى (ترام) نركبه ، كل بعيد قريب ، وبعد ، فماذا يعمل الآن اخوك ، ولدي حمدي يكن ، قلت : انه ينشر كتاباً عنوانه « منكر ونكير ، وحدثته بلقائنا واتفاقنا فتبسم قائلاً : سيري أهل الدنيا في « المقطم » امضاء ولي الدين ، بعد موته بثلاثة اعوام ، اني فرح بما أسمع عن اخيك ، وما أقرأه له ولن انسى عظة الشباب ، في قطعة أنشدتنيها ، ضمنها بيتاً لابي الطيب ، والابيات :

أفق يا قلب ، ان الرشد أولى ... وان العمر آخره انصرامُ
أحاديث الهوى غرتك حيناً ... وما صدقت ولا صدق الغرامُ
(خليلك أنت لا من قلت خلي ... وان كثر التجمل والكلام)

اطربني يا حمدي ما أسمعنيه الشيخ مفتاح من شعرك . واذكرني سمعت الابيات منك » فأثنيت عليك ، لكنني لم أحفظها وقد حفظتها اليوم من مرة واحدة ، وقلت له : كذلك أخي لم ينس حكمة أستاذه في شعره الفصيح ، وانه كلما اراد نظما ، ليقرأ فيما يقرأه ما عنده من قصائدك ، أين ما يقوله شعراء اليوم من قولك

ظلت فتاة بني عبس تعيرنا ... بوصمة العجز لما قومها جهلوا
ولو جزيت لذلوا عن مقاومتي ... لكن عفوت وبعض الشر يحتمل

من ذا يصدق ان قائل البيتين شاعر حضري . من ذا يؤمن اذا قيل له : انهما للشاعر المصري . احمد مفتاح ، قلت هذين . وقلت غيرهما

من أفصح الكلام . فهل في الناس من يذكر بعض ما قلت ، اين ديوانك . لم يفكر أحد في جمعه . ولولا ثقتي بأخي . في جمع شعري ونشره . لساويتك في يأسك من انصار الادب العصري . ثم سكتَّ ولم يتكلم زائري ، جاء سميري . اخو شبطائك . واود من الآن ان تعرفه بهذا الاسم . اذ لا يليق ان يكون في الجنة شياطين. مهما عظم فضلهم . قال : اسرع يا صاحبي . ان منكراً ونكيراً ينتظران احد القضاة فالتفت الى زائري قائلاً :اتصاحبنا أيها العزيز .قال اني ذاهب الى صديق من الجيران . ومد يده مسلماً . فسلمت . وانصرف .

خرجت مع السمير اللطيف سرًّا ، بلغنا كهفاً مظلماً ، يتسرب اليه من احد جوانبه نور ضئيل ، وفي الوسط جثة رجل ، وفي زاوية من الكهف ملكان ، غليظان شديدان ، في يمين احدهما سوط كاللهب ، ذو ثلاث شعب ، قلت السلام على منكر ونكير ، قالا وعليك السلام ورحمة الله . ثم قال منكر : هذا يا ولي الدين : عبد من عباد الله وهبه حكماً ، على الرقاب والاموال ، فجار وما عدل وضل وما اهتدى ، لها عن واجبه ، وميز في الحق أناساً على آخرين فقضى على ، القضاء وتكبر وطغى ، الآن تعاوده روحه بأمر الله ، فيسأل عما فعل وينال جزاء ما قدمت يداه ، (وما ربك بظلام للعبيد) .

تحركت الجثة ، وفتح الميت عينيه ، استوى جالساً ، فنظر يمنة ويسرة ، لم ير غير ظلام القبر ، فظن نفسه في حلم ، فأطبق جفنيه لكنه لم ينم ، ففتحهما ، ومد يده الى الحائط باحثاً عن (الزر الكهربائي)

فلمست يده جداراً خشن الملمس ، ليس هذا بحائط الغرفة ، وأحس بأنه على الثرى ، لا يرتدي سوي كفنه ، فارتعد ، وصرخ قائلاً « انا لم أمت ، أين انا ، افتحوا ياناس ، يا ولد ، ياحاجب » فبدا له الملكان ، هاله منظرهما ، فزاد اضطراباً ، وقال : من انتما ، قال منكر يا عبد الله انّا ملكان من عند ربك . وانك الآن في موقف السؤال قال الرجل : لا . لا . لم امت . اذهب من امامي أنت وزميلك . والا استنجدت بالحاجب والساعي . وبكل من في الخارج . انا فلان بك القاضي ، قال منكر : بل انت مت وادرجت في كفنك فدفنت في رمسك وما سكنت الروح الا في النصف الاعلى من بدنك لتؤدي الحساب . فهل تستطيع تحريك قدميك ، حاول القاضي تحريكهما فلم يقدر ، فتضاعف هلعه ، اذ ايقن انه فارق الدنيا ، فقال : (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون)

قال منكر : فلنبدأ بالسؤال عمن ناديته في ساعة كربك ، أتذكر الحاجب ، قال نعم ، قال منكر : ألم يدخل اليك في أول حكمك مسلماً ومهنئاً ، فلم تسلم عليه ولا بتحريك انملك ، ولم تجبه بغير قولك : « طيب ، طيب ، اطلب القهوة » قال القاضي : هذا وأشاله ، كان يصيبني انقباض عند رؤيتهم ، لا أدري له سبباً ، ولعله مرض لا اعرف اسمه قال منكر : انه مرض ، اسمه « النطاعة » ، يا نكير : داوه من مرضه بعشرين جلدة ، تعاقبت الجلدات ، وتعالت الصرخات ، الى ان تمت العشرون ، قال منكر : أيقنت الآن ان الحاجب انسان ، وماذنب

ذلك المسكين ، لا ينتهي من عمله في المحكمة ، الا ليبتدىء بمثله في بيتك ، وكم كلفته ما لا يطيق ، وما كان اجره منك ، الا ما يناله من شتم وسب ، قال القاضي رحماك ، قال منكر : أين كانت رحمتك . يا نكير علمه الرحمة بثلاثين ، نزلت عليه الثلاثون . قال منكر : وما قولك فيما كان بين يديك . من دعاوي الناس . اما كنت تسهر الليل في لهوك وطربك . وتعود في الصباح الى مقر الحكم . ومعك حقيبتك . فيها قضايا المظلومين ، عادت كما ذهبت . لم تنظر واحدة منها قال القاضي : كنت قبل الدخول الى « الجلسة » . اكتفي بنظرة في المذكرات . ومثلها في المستندات ثم اسمع دفاع الخصمين . قال منكر . كم من باطل في ثوب الحق . لا تظهره الا الروية . لقد اضعت حقوقاً . وخيبت آمالاً . ولقد كنت تغفي اثناء عملك . من فرط سهرك . فلا تفهم ما يقول الخصمان . الا تذكر انك اغفيت مرة . وكان احد الحوذية يشرح له سرقة شيء من الخشب يطلق عليه اسم الحمار . فلما تنبهت من سباتك سألته عن مقدار عمره . فقال لك يا سعادة القاضي هذا (حمار خشب) . ابهذه الحالة تحكم بين الناس بالعدل . يا نكير . جدد عزمك بخمسين . فلما اجاد الخمسين . قال منكر : والوصايا . واخواتها الهدايا . ماذا تقول فيها . ألم تبرىء الجاني بوصية ، ألم تقض على الحق من أجل هدية . قال القاضي . انا بالله منك مستجير قال منكر . هذا ما كان يقوله لك المظلوم .. وما انت اليوم بمظلوم يا نكير : اطربني بمائة كاملة ، دقت الثاني والثالث الى تمام المائة ، قال منكر

و بعد فقد كان ما آلك الى النار . لو لم تكن من شهداء القطار رقم . .
من قطارات الترام

هكذا يا أخي كانت محاكمة القاضي. واني لاود ان ترسل الي قائمة مرتبة . بأسماء الطوائف التي تريد ان اوافيك بمحاكمة من جمعت فيهم نقائصها . فتصل اليك رسائلي على الوجه الذي رتبته . والسلام عليك من اخيك

ولي الدين يكن

الى أخي وسيدي ولي الدين يكن

أعجبتني محاكمة القاضي . ولا ارتاب في انها ستنال رضاء الادباء من قراء المقطم . اما القائمة . فمرسلة اليك مع هذه الورقة . بلغ تحياتي الى استاذي الجليل الشيخ مفتاح . والسلام عليك من اخيك .

يوسف حمدي يكن

— ٢ —

الخبير

الى أخي يوسف حمدي يكن

كتب هذا اليك ، وقد بلغني ما أنت فيه من الحيرة ، صدر الامر بعودة المرظفين الى العمل بعد الظهر ، أطعت الامر كما أطاعه اخوانك ، لكنك تفكر فيما نقص من زمن عملك الادبي ، وما ذهب

من وقتك راحتك ورياضتك ، لا تفكر يا أخي ان بعد العسر يسراً ، لا بد ان ترق قلوب الآمرين ، فيخفف هذا العبء الثقيل ، من يدري قد يصل اليك كتابي ، وانت فرح بانفراج الازمة ، واني لا كتب اليك دهشاً من غريب امرك ، انك لا تفوتك اللطائف ولا اثناء عمك قيل لي : ان زميلا من زملائك . سألك جاداً غير هازل ، عما يعمله الموظف في هذا الحال ، ان مات واحد من اهله ، فكان جوابك يؤخر المأتم الى يوم الجمعة ، اضحكني جوابك . واضحك من كانوا حاضرين عندي ، وهم ثلاثة . كانوا في دنياكم من الموظفين . قال قائل منهم . صدق أخوك لم يبق للمساكين وقت للهناء . ولا وقت للعزاء . الا في يوم الجمعة . وعندي انه يوم راحتهم . وقضاء حاجاتهم الخاصة فليس امامهم سوى محو الاعراس والمآتم من بين العادات . قلت فماذا يعمل الواحد منهم يوم زفافه . قال دعنا من الزفاف . من ذا يستطيع منهم ان يراه . يجب تهوين الامر . العقد يعقد بعد صلاة الجمعة . في مجلس يحضره : مأذون الشرع الشريف . والزوج وولي أمر الزوجة وشيخ الحارة . واحد الجيران . ثم يأخذ الزوج عروسه الى بيته . وينتهي الاشكال . قلت لطف الله بالضعفاء من عباده . والهم آمريهم رفقاً بهم لكيلا يكونوا بمعزل عن الناس . في نظام حياتهم وعاداتهم . سامحك الله يا حمدي . شغلتني بامور الدنيا . بعد ان استرحت من عنائها

أقبل سميري مسلماً . علي وعلى الحاضرين . قلت له هل من جديد قال : ان محكمتنا تنتظر احد الخبراء . منكر . يضع السؤال تلو السؤال .

ونكير يمرن عضلاته . لا تتأخر ياصاحبي . ومن شاء من ضيفانك ان يرافقنا . فليتفضل

قمنا جميعاً . سرنا الي كهف كالذي وصفته . ابصرنا برجل ممدد عليه خرقة باليه . لم تستر سوى نصف بدنه . وعن يمينه وشماله منكر ونكير . سلم جميعنا . وسلم الملكان . قلت : أجاء الرجل كما نراه قال منكر : كان مدرجاً في كفن ثمين . فلما ذهب ذووه بعد دفنه : جاء (التربي) فسرق الادراج كلها . وأنا انظر اليه . وهو لا يراني . واسمع قوله للرجل : اذهب من الدنيا كما جئت اليها ، يكفي ما جمعته من خداع الناس في مخاصماتهم ، اني لم أعف عن الصالحين ، فهل أعفو عن مثلك ، ثم حمل الادراج وانصرف ، يا ولي الدين اقسم بمن اليه الوجنى ، ان اشباه التربي من زملائه ، هم أحطاب جهنم ، يصلونها خالدين ، والذين هم على شاكلة هذا الراقد ، من اخوانه في مهنه ، وهم لحسن الحظ قليلون ، لا يقلون في جرمهم عن اولئك السارقين ، هذا العبد المذنب ، من فئة وضع القضاء ثقته فيها ، وقضى برأيها في كثير من الاحوال ، ولكن هذا العبد الخاطىء ، كان في حياته هازئاً بتلك الثقة ، اتخذ منها وسيلة الى الغنم ، كذلك يفعل من ملئت نفسه حرصاً وطمعاً ، وهوى الى الدرك الاسفل من وضاعة الخلق ، كان اذا جاء دوره في احدى الدعاوي ، لا تحدثه نفسه بانجاز عمله فيها ، قبل ان يحل موعد الجلسة ، ولا يقوم الى عمله في الجهة التي تنازع عليها الخصمان بل كان يدعوهما الى داره ، ما شأنهما في داره ، هنالك الشباك لمن يصاد

من الضدين ، يقول له من يجهل نيته ، لماذا تدعوني الى دارك ، فيقول هذا : لا فهم موضوع الدعوى ، فاذا قال له : ان موضوع الدعوى مفصل في عريضتها ، وان المحكمة حددت لك ما تعمله ، كان جوابه : لا بد من مجيئك عندي ، وكم من الدعاوي بقيت بين يديه شهوراً واعواماً ولو صادفت سواه ، لا نتهي منها في ايام معدودة ، لقد دنت ساعة سؤاله ، أنظر اليه ها هو يتحرك

انتبه الخبير ، رأى ملكي السؤال والعذاب ، هاله ما رأى ، غارت قواه رعباً ، فأطرق ، وأبصر بالخرقة البالية على جسده العاري ، فأيقن أنه مات ، وجرد من كفنه ، قال منكر بصوت كالرعد ، يا عبد الله ، أعلمت ما لك اليوم ، قال الخبير : هذه يا مولاي خاتمة كل حي ، قال منكر : رياء في الدنيا وفي الآخرة ، يا هذا ، ما أنا بمولاك ، ان مولانا جميعاً هو الله ، خالق كل شيء ، يا نكير ، اضربه على هذه ثلاثين جلدة فهدها نكير ثلاثين ، قال منكر : ولو جادلتني في أمر موتك ، كما جادلني القاضي ، لكانت فاتحة الكتاب خمسين ، قل يا كثير الذنوب ، من ذا أحل لك ان تكون كسيف ذي حدين ، تقطع من مال هذا نصيباً حراماً ، ثمناً للحق ، وتفصل من مال ذلك جزاً ممقوتاً ، أجراً على الباطل ، أضررت بالفريقين ، وانتفعت من الجهتين ، قال الرجل : ماذا أعمل ، كان اجري قليلاً ، قال منكر : ان الاجر القليل لا يدفع النفس الكريمة الى اتيان الحرام ، وارتكاب الآثام ، من قنع بالرزق ستغنى عن الخلق ، يا نكير : ألهبه بسبعين فألهبه والله بسبعين ، قال

منكر : وما عذرك أيها « الخابور » ، في دعاوي أبقيتها أعواماً طوالا لتجعل منها مورداً دائماً ، ان منها ما بقي عندك الى نهاية الاجل ، تركتها وجئتنا بوجه بدت عليه النذالة ، أظننت ان الناس لا يشكون الى الله وقوف اعمالهم ، أم حسبت ان الاقدار طوع ارادتك ، وانك في دنياك أبدي لن تزول ، قال المسكين : لي خمسة من البنين ، فبماذا كنت أعولهم ، قال منكر : لقد فكرت في حياتك وأبنائك ، وما فكرت في موت من أسلموك أمرهم ، هذا عذر كسابقه ، يا نكير : ارفع سوط عذابك ، وانزله مائة تامة ، أحصيناها يا حمدي مائة تامة ، قال منكر : والآن قل أيها التعس ، ألم يكفك كل ما ربحته من قرض زائل ، فابتغيت المزيد ، من ذا أفتاك بأن تجعل نفقاتك في سفرك وايابك أضعاف الحقيقة ، تطالب بها في النهاية من خسر دعواه ، فيكون ويله ويلين ، قال التعس : أعجزتني والله عن الجواب ، ان الله يغفر لمن يشاء ، قال منكر : وانه لشديد العقاب ، يا نكير مائة ثانية ، ليتم العدد ثلاث مئات ، تم العدد ، وسيق الخبير ، الى الزمهرير

ولي الدين يكن

— ٣ —

الوصي

الي أخي يوسف حمدي يكن

خرجت مع سميري الى النزهة ، سرنا بين ماء وزرع ، وفاكهة مما تشتهي الانفس ، لا مثيل لشيء منها في دنياكم الفانية، وبعد مسير قليل ، بدا لنا رجلان ، قلت ترى من المقبلان علينا ، قال سميري : أحدهما الشاعر امام العبد ، وثانيهما صديقه وابن جلدته . الكاتب فرج العبد ، كيف لم تعرفهما ، قلت ما هكذا كان حالهما في الدنيا ، كانا اسودين وهما الآن ابيضان ، ولم يرهما احد في مثل ثوبيهما السندسيين قال السمير : انسيت انهما في الجنة ، وانهما اليوم برحمة الغفور الرحيم ، في نعيم مقيم

تقابلنا ، تبادلنا التحية ، قال امام . لقد ذكرتك الساعة ياولي الدين ، وتمنيت رؤيتك ، لم أرك بعد انتقالك الى دار البقاء ، واني لاجدك سعيداً بفضل الله . فكيف تجدني ، قلت على ما احب ، قال : لقد علمت انك تراسل اخاك حمدي ، فبلغه تحيتي ، وتحية هذا الصديق لم يبق من يذكرنا سواه فيما أظن ، نسي الناس شاعر السودان وكاتبه ، صف له ما بدل الله من لوننا وحالنا ، وقل له ان لا يهجو السود . فانهم في الجنة بيض ، قال فرج . ان حمدي لم يهج من السود سوالك ، وما فعل ذلك الا بعد أن دعوته اليه . وزدت في الحافك ، قال امام

ألم تعلم ايها العزيز اني فاخرت يوماً أحد الادباء المصريين فقلت: نحن الذين سوتهم الطبيعة ، وأنتم من أبقتهم لحماً نيئاً . فكان جوابه : بل نحن من سوتهم الطبيعة ، وانتم من ارادت ان تسويكم فاحرقتكم ، اسكتني هذا الجواب ، ولا أخفي عنك انه اعجبني ، وتمنيت ان أهجى بشعر من طبقة هذا الكلام ، وان أشد الهجاء هو المضحك ، ولحمدي في هذا الباب شيء كثير ، لذا ذهبت اليه وقال فيّ ما قال ، وكانت أبياته سبباً في مغفرة الله عما تقدم من ذنبي وما تأخر . أتعلم ياولي الدين خبري يوم السؤال ، قلت لا وأبيك . قال : سألني الملك : من أنت ايها المسكين ، قلت عبد فقير ، كان لي زميل يدعى فرجاً ، كلما ذم واحداً ضُربت بدلا منه ، مرة خطأ ، وأخرى انتقاماً من اللون ، وكان لوني لا يعجب سادتي ، فهجاني احدهم بقوله ، وذكرت له قول اخيك ، فضحك الملك واستغفر لي . فكنت من أهل النعيم ، قلت : يا امام ، والله لقد كنت وما زلت ظريفاً في لطائفك ، انيساً في حديثك ، مجيداً في شعرك وكم من اهل الدنيا من يذكرونك الى اليوم بهذه الحسنات ، ولو كنت معهم في هذه السنين ، لكان لك شأن عظيم

قال سميري . اطلنا الوقت والحديث ، فيجب ان نغادر مكاننا ، علمت اليوم ان منكراً ونكيراً سيحاكمان احد الاوصياء ، وساعة السؤال اظنها دانية ، فلنسر جميعاً الى المحكمة ، قال امام : أنا معكما ، ان للملكين علي فضل الاستغفار ، قال فرج : أنا ذقت خمس جلدات لاجلك ، لن انساها . فلا اود الذهاب معكم ، اني عائد الى قصري

البديع ، آمر فيه وأنهي ، فدعوني وشأني . السلام عليكم ، قلنا وعليك السلام

سرنا الى ان بلغنا المحكمة ، قال امام : ان محاكمنا في القبور ، لا ترى العين فيها الا ظلاماً ، يكاد المرء لا يتبين منه شيئاً ، لكن هذا الظلام يسطع فيه نور العدل الالهي ، (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) أنت ياولي الدين اكبرنا ، فتقدم ، دخلت وتبعني الصاحبان

رأينا جثة رجل نحيل ، جف من الامراض حتى صار (كالشيروز) قال امام : ليس في الرجل موضع للضرب ، ولا للقسمة ، وأبصرنا بالملكين واقفين عند رأسه ، حيياهما ، فردا التحية باحسن منها ، ثم قال منكر . هذا العبد الضئيل ، من فئة قسم لها ان تحتكم في مال القاصر اليتيم ، أو البالغ المعتوه ، تخيرها الحكام ، ليحل كل فرد منها محل ولي الامر من والد أو والدة أو عم أو خال ، فكان هذا الرجل في حياته شاذاً عن العدد الاكثر من طائفة الاوصياء ، ظهر للناس في ثوب الورع التقي ، لينال بذلك ما يبتغي ، من مال لا يملك منه شيئاً ، ما اصدق القائل في مثله

ذئب تراه مصلياً ... فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ... ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا الهلا ... ان الفؤاد قد انصدع

ولقد خدع الحكام بريائه ، وكم من كريم خدع ، ظنوا به خيراً

فأسلموا اليه اموال اليتامى والعاجزين عن تدبير امورهم ، فمديده المذنبة الى ماليس من حقه ، وأذاق المساكين الذين يحكمهم سوء العذاب ، ان ربك لبالمرصاد ، انظر الى نحوله ، اصابه الله بكل امراض البشر فأنفق على الاطباء ما جمعه من مال حرام ، عاش سقيماً ، ومات لايملك الا آثامه ، وهو في الآخرة في قرار الجحيم ، ستعاوده الآن روحه وستنظرون ما سيكون

هبطت الروح الى الجثة انتبه الوصي ، فبدا له الملكان ، عرته رعدة شديدة واكفهر وجهه فأخفاه بكفيه . قال منكر : ألست فلاناً الوصي قال نعم يا سيدي لكنني رجل معدم اعدني الى بيتي : لي صبية لا عائل لهم سواى . قال منكر : احسبتني من قطاع الطريق . الم تدر انك فارقت دنياك الفانية وانك الآن في ساعة الحساب . اتعرف من كنت وصياً عليهم . قال أعرفهم . قال منكر : اليس فيهم صغار كصغارك ، اتذكر ما بعت من نفائس وجواهر بأغلى ثمن . ولم تدون في دفاترك سوى ربع الثمن . مامقدار ما سرقته . قال الف دينار ، قال منكر يانكير ، عندك الالف المسروقة قال نكير نعم ، قال منكر : اذبها في النار واسقه اياها . اذيبت الالف جاء بها الملك الى الوصي . ففتح فاه عنوة وسقاه ، تلوى الرجل صارخاً اواه . قال منكر : ان صراخك لن ينجيك من عقاب الحكم العدل . تكلم يا رجل ألم تؤجر الارض والعقار بمال يزيد على ما كنت تحمله الى بيت المال قال اجل . قال منكر : كم جمعت من هذا السبيل المرذول . قال عشرة آلاف . قال منكر : هذه جرعة ستملأ

بطنك وينتفخ بها بدنك . يانكير : بادر اليه بالجرعة المباركة . جاء نكير باناء فيه ذهب كاللهب . افرغه في فيه . فبدا لنا الرجل في حجم اربعة من الخنازير البرية برزت عيناه وتدلى لسانه . قال منكر : أما ما بقي من سيئاتك فلا جزاء له الا النار . وبئس عاقبة الظالمين . يانكير خذه الى النار

ولي الدين يكن

يا أخي — بلغ تحيتي الى فرج وامام والسلام ختام

يوسف حمدي يكن

— ٤ —

الطبيب

الى أخي يوسف حمدي يكن

حدثني سميري ، قال حدثني أبي ، وكنت يافعاً قال : كان لي جار من الصالحين ، له عائدة وافرة ، من تجارة كانت تأتيه من الغرب وكان أمام منزله بيت يسكنه طبيب . فمضت أيام لم أر فيها جاري خارجاً ولا داخلاً . ولم أصادفه في المسجد . فسألت عنه زيداً وعمرواً وآخرين من أقرب الجيران اليه . فعلمت في النهاية ان الرجل خسر تجارته . ولزم بيته ، فلم يفارقه . وكلما طرق بابه طارق من جيرانه ، قيل له انه مريض ، لا يريد الطبيب ان يدخل عليه أحد

مضى العام ، لم يتيسر في خلاله لاحد منا ان يرى هذا الجار ، وكلما سألنا عنه الطبيب ، قال انه يتماثل الى العافية ، ولكن محادثة الناس قد تؤذيه ، وفي أصيل يوم من الايام ، طاف على الجيران رسول بين يديه كتب مختومة ، اعطى كل واحد كتاباً ، قلت له من المرسل قال جارك فلان ، فتحت الكتاب ، فيه دعوة الى وليمة أعدها لنا ، ليعلن فيها شكره على سؤالنا عنه ، فذهبت الى داره ، قابلني مسلماً ، رأيت دلائل العافية والنعمة بادية عليه ، وأخذني الى غرفة واسعة ، فرشت بأثمن الرياش ، فرأيت أربعة من الجيران ، بينهم الطبيب ، وجاء بعد ذلك سائر المدعوين ، وكان رب الدار يقابل كل قادم بالتحية والاجلال ، فلما تكامل العدد ، دعانا الى غرفة مقابلة ، يتوسطها خوان جمع الكثير الفاخر من صحاف الالوان ، وبعد النهاية من الطعام ، طاف علينا الخدم بقهوة يمانية ، لم نذق أطيب منها ، ثم وقف صاحب الدار فقال :

ايها السادة الاخوان :

« عدتموني مريضاً ، وأجبتم اليوم دعوتي ، لكم الشكر على فضلكم السالف والحاضر ، سأحدثكم عن أمر ، قد لا يعلم حقيقته سوى واحد منكم ، هو هذا الرجل الكريم ، اخونا وجارنا الطبيب ، وانه لو توقع اني اليوم متكلم لما حضر مجلسنا هذا ، ليسمع اقراري بفضله بينكم ، لا تحاول الهرب ياسيدي الطبيب ، واستمع لي مع السامعين

جرت المقادير على غير ما أملت ، ذهب مالي ، ثم فاجأني داء

عضال ، بكى صغاري ، وهم ثلاثة ، ذكران وانثى ، حارت زوجي في أمر الجميع ، قالت : رحماك يارب العالمين ، هؤلاء صبية يبكون اباً فقيراً عليلاً ، ليس في الدار شيء يباع ، بعنا ما في الدار من غث وثمين أخرجناه في جنح الظلام ، لكيلا يشعر أحد الجيران بما نحن فيه ، اللهم لا حول لنا ولا قوة الا بك ، اشف هذا العليل ، أو فاقبضه اليك ، قبل ان تمس عزته يد لمخلوق ، وانتحبت المسكينة الى ان استولى الكرى على مصادر الدموع ، هجعت الباكية ، ونام الصغار ، نظرت اليهم ، واكرباه ، وجنات مبللة ، أذبل وردها ماء كالمهل ، يشوي الوجوه ، هذا دمع ألهبته حرارتك ، أيتها القلوب الطاهرة

سهرت ، موجع البدن ، مكروب النفس ، طال ليلي ، وليل مثلي يطول ، حتى اذا لاح الفجر ، خلته كاذباً ، وأطبقت جفني ، لكيلا أرى ذلك الخادع ، ولما فتحتهما ورأيت جبين الصباح ، ارسلت اهاتي ، وقلت

زاد بي السقم والالم وانقضى الليل لم أنم
وانا اليوم معدم بعد عز من القدم
كيف أمحو مقدراً خطه الله بالقلم

سمعني اكبر صغاري ، وهو في التاسعة من عمره ، قال يا أبي كلنا فداؤك ، وخرج معولا ، لم ادر الى أين ذهب ، وعاد بعد قليل ، ومعه هذا الأخ الطيب ، دخل البيت أدرك من حاله ما نحن فيه ، ثم عاتبني على ما اخفيته عنه من امري ، وهو أقرب جيراني ،

وبعد هذا اتعلمون ما صنع ، اقام على مداواتي والانفاق على بيتي ثلاثة أشهر ، ولما أبللت من مرضي ، اقرضني مالا واشترط عليّ ان لا ارده اليه الا اذا ربحت تجارتي ، ففارقت داري في ظلام الليل ، وسافرت الى الغرب ، تاركا زوجي وصغاري ، وهنالك مهد الله لي كل صعب فربحت اضعاف ما خسرته ، وهأنا اليوم معيد اليه مع الثناء الجميل اضعاف ما اخذته ، ولئن لم يقبل ، فلأتركن له كل ما ربحته »

قال سميري . هذا ما قصه على أبي ، وانك يا ولي الدين سترى بعد قليل نقيض ما حدثتك به ، ان المحكمة تنتظر اليوم أحد الاطباء ، علمت بالخبر منذ ساعتين ، فتقدم معي الى مكانها المعلوم

بلغنا دار العدل ، دخلناها ، فاذا جسد صحيح ، لا ترى العين فيه اثراً لعلة ، وابصرنا بالملكين في ناحية يتحدثان ، سلمنا وسلما ، قال منكر : هذا العبد المجرم ، من طائفة علمها الله لتخفف ويلات الناس ، وما الطب الا رحمة من الله بعباده ، وكم من طبيب عرف هذه الحقيقة فكان انتفاعه من عمله لا يماثل بعض ما ينفع به بني آدم ، ولكن هذا الطبيب بلاء على قومه ، ما فكر الا في نفع ذاته كان في القرى كقطاع الطريق ، لا يأذن لميت بالوصول الى اول منزل من منازل الآخرة ، الا باجر يأخذه من ذويه ، فاذا عصاه اهل الميت ، هددهم بتشريح الجثة ، وتفنن في ضروب المكر ليذعنوا لامره ، وكان يبيع الدواء من صيدلية الحاكم ، وهي مخصصة لاعطاء الدواء بلا ثمن رحمة بالفقير ، ويدون في دفاترها ما يخالف الحقيقة ، وكم شوه الحقائق بشهاداته الباطلة

في كثير من الدعاوي ، هذا قليل من جرائمه، فانظر الآن ماسيحاسب عليه، وما سيحل به من غضب الجبار ، ها هي الجثة تنتفض ، عاودتها روحها الخبيثة

فتح الطبيب عينيه ، نظر الى ما حوله ، فلما ابصر الملكين ، عرته رجفة شديدة ، قال منكر . انك ياعبد الله ممن اظنني لا اتعب في افهامهم انهم ماتوا ، أنت الآن في قبرك ، وهذا مقام الحساب ، اما ظننت انك ستحاسب بعد موتك ، قال الطبيب كنت موقناً ، قال منكر . كذبت والله لو ايقنت لما جنيت ما جنيت ، اتذكر من عالجت من الفقراء ابتغاء مرضاة الله ، سكت الطبيب ، قال منكر . اهكذا يبدو عجزك من أول سؤال يانكير . هذا لم يداو فقيراً واحداً ، داوه من دائه بخمسين ، داواه نكير بخمسين واحدة تلو اخرى ، والرجل يصيح بصوت قبيح ، رحما كما أيها الملكان . قال منكر . لا رحمة بمن لا ترحم ، لقد نسيت اؤلئك التعساء ، وعظمت أجرك ، فلم ينتفع بطبك سوى اهل اليسار ، نادهم الآن لينقذوك من عذاب الآخرة ، قل يارجل ، الم تدع في الليل ، لتدرك من المرضى من اشرفوا على الهلاك ، فابيت ، قال انهم كانوا ممن لا يفرقون بين اجر الطبيب في الليل ، واجره في النهار ، قال منكر . يانكير ، هذا لم يفكر في غير أجره ، هان على قلبه الصخري ما يقاسيه اخوانه في الآدمية ، عذبه يانكير بمائة وخمسين ، تتابعت الوان العذاب في مائة وخمسين قال منكر . وبماذا تجازى على ما اجترمته في القرى ، مما تعلمه ولا اجهله ، قال الطبيب . هذا

ما لا اطيق جزاء عليه ، قال منكر لا بد من الجزاء يا نكير ، كم احصيت الى الآن ، قال مائتين ، قال منكر ، اعد بالله عليك ما احصيت ، اعادها يا حمدي بساعد مجدول ، كما بدأها ، قال منكر ، هكذا يوفي الحساب أيها الطبيب ، وانى لذا كر انك ما لقيت حتفك الا شهيداً ، اذ سرت اليك العدوى من احد مرضاك ، فاودت بحياتك في يوم وليلة ، لذا أرجو لك الغفران ، والله ارحم الراحمين

ولي الدين يكن

— ٥ —

أحد أبناء السراة

الى أخي يوسف حمدي يكن

أنتم الآن في فصل الشتاء ، برد ، ومطر ، ورعد وبرق ، ما ذا تفعل في الذهاب من حلوان الى مصر ، والاياب من مصر الى حلوان كيف تتحمل هذا العناء مرتين في الصباح ، ومثلهما في المساء ، أنسيت سخطك على صيف مصر وشتائها ، أتذكر انك القائل منذ عشر من السنين : —

انما الصيف فيك يا مصر نار ... ليس ينجى من حر نارك ظلُّ
واذا ما الشتاء جاء علا الافـ ... ـق اغبرار والارض ماء ووحلُ
كم تمنيت هجرة عنك لكن ... في نواحيك لي صحاب واهلُ

ولقد كنت في ذلك المهد حراً غير مأسور ، ولا مغلول بسلاسل الوظائف ، لا تبرح دارك الا متى شئت ، فما ذا أنت قائله اليوم ، والله يا حمدي : ان فؤادي لتتقطع نياطه ، كلما فكرت فيك ، وفي زملائك الموظفين ، وما زلت غير مرتاب في رحمة من أولياء الامر ، تكفيكم عذاب الاوبة الى العمل في المساء ، أصبح الواحد منكم وحذاؤه لا يفارق رجله ، من قبل الشروق الى ما بعد الغروب ، اتظن هذا خافياً على آمريكم ، كلا اني أعرف من بينهم كثيرين ، لا تخفى عليهم خافية ، ولا يهون على مثل قلوبهم ما أنتم فيه ، لذا أرجو لكم خيراً عاجلاً باذن الله

زارني اليوم : الصديق الغالي ، استاذ الشعراء ، اسماعيل صبري فلما حدثته بما جال في خاطري ، مما قرأت بعضه في هذه السطور ، تبسم وقال : الحمد لله ، انا هنا لا نشكو حراً ولا زمهريراً ، « ولا يكلف الله نفساً الا وسعها » والله يا ولي الدين ما حمدت الله على وجودي في الدنيا الا لانها سبيل الآخرة ، لقد رثاني حافظ وشوقي والمطران ونسوا اني القائل :

ان سئمت الحياة فارجع الى الار ض تنم آمناً من الاوصاب
تلك أم أحنى عليك من الأ م التي خلفتك للاتعاب
لا تخف فالممات ليس بماح منك الا ما تشتكي من عذاب
كل ميت باق وان خالف العهـ ـد وان ما نص في غضون الكتاب
او حياة المرء اغتراب فان ما ت فقد عاد سالماً للتراب

وبعد ، أتحسب يا ولي الدين : ان في مصر من يذكرني اليوم سوى نفر قليل ، ما صدق شوقي كصدقه في قوله عن بلده : « كل شيء فيه ينسى بعد حين » ، قالوا ان شعري سيجمع ويطبع ، ثم سكتوا ونسي الناس ماقيل ، كذلك نسي القائلون ، وما فعل الله بشعرك ياصاح ، قلت : انه الآن عند اخي ، يرتبه ويبوبه ، وهو كما تعلم كثير الشواغل في نهاره وليله ، لكنه قد خص شعري بساعة من وقته في كل يوم ، وسيفرغ منه قريباً ان شاء الله ، قال بلغ أخاك تحيتي وثنائي عليه

جاء سميري ، سلم وسلمنا ، قلت ماعندك ، قال ان المحكمة تنتظر اليوم واحداً من أبناء السراة (الذوات) وان الساعة لآتية ، فقوما معي قلت لزائري الكريم ، أتصاحبنا قال كيف لا ، انى ليروقني هذا المشهد العجيب

مشينا الى ان وافينا المكان ، دخلناه ، رأينا فتى مليح الوجه عليه ادراج فاخرة صانها حراس (المدفن) من ايدي اللصوص ، ونظرنا الملكين في زاوية من زوايا القبر ، فلما تبادلنا التحية ، قال منكر : هذا العبد المذنب ، لا نظير له بين امثاله ، من ابناء السراة اسلمه والداه في حداثته الى الخدم ، وتركا حبله على غاربه ، لم يعلماه ، ولم يهذباه ، اشفقا عليه حتى مما ينفعه ، ولما بلغ اشده كان في زمرة الجاهلين ، ولقد هلك ابوه ندماً وماتت امه حسرة ، لم يأسف على احدهما بل سره ما خلفاه له من متاع زائل ، لم يدع هذا الفتى موبقة

الا اقترفها ، مد يده الى الآثام ، ونظر الى الحرام ، فشكا منه الجار والجارة ، وذمه القريب والبعيد ، لم يعرف سوى التأنق في اللباس ، والتكبر على الناس ، خلا رأسه من كل مادة ، فلم يسلم من لسانه غائب ولا حاضر ، هذا ما كان يستطيعه من الكلام ، وكان يشتري الصحف ، لا ليقرأها ، وانما ليقال انتترى البك جريدة ، فاذا ما نظرها مقلوبة تركها في القهوة أو في المربة ، حاسباً ان حملها مما يعاب ، واذا التقى في مكان بفتى أديب ازدراه ، وتغامز مع من يعاشرهم من اهل الفساد ، وان مرت به سيدة من المصونات وجه اليها كل قول فاحش ، ولقد مات في مقتبل عمره صريع الخمر و « الكوكايين » في بيت من بيوت القمار ، افرغ فيه ما بقي من ماله ثم اتكفأ على مائدة اللعب فجاد عليها بآخر أنفاسه . انظروا اليه انه سيبعث لاداء الحساب

انتفضت الجثة انتفاض الطائر ، لم يفتح الفتى جفنيه . اثقلهما السكر الشديد . ناداه منكر يا فلان . فضم الفتى شفتيه بالصفير على نغمة (الماتشيش) . ضحكت وضحك اسماعيل صبري قائلاً : (وصفّري ماشئت ان تصفري) . أما منكر فانه لطم الفتى لطمة عنيفة أذهبت سكره واعادت صوابه . ففتح عينيه مذعوراً ولم يتكلم . قال منكر : اتعرف الموت قال الفتى : انا لم امت فأين انا ، قال منكر : انت في قبرك لانك مت . وانا ملكا ربك . جئنا لنسألك عما قدمت يداك . انا منكر وهذا اخي نكير . اما سمعت عما في حياتك . قال الفتى اعدني الى بيتي « يامسيو » منكر وحق ابيك ، قال منكر : يانكير اتحفه على هذه

بثلاثين . وافهمه انه مات بعشرين . هذه خمسون لا بد منها . تتالت الجلدات حتى الفتى آه . أواه . يا بوليس . يا خفير . ارحم يانكير افندي قال نكير وعلي هذه سأزيدك عشراً . وأتمها ستين . قال منكر : ليس في الآخرة مسيو . ولا افندي . ولا بك . ولا باشا . قال الآن وأوجز فان شغلي اليوم كثير . ماذا فعلت بمالك . أأغثت به ملهوفاً . أم انفقت منه على ما ينفع امتك وبلادك . قال الفتى لقد ذهب كله . قال منكر : وما ذهب الا في الخمر والميسر وكل سبيل ممقوت عند الله والناس ، يا نكير : عجل بمائة طيبة . عددنا الطيبات واحدة واحدة الى المائة . قال منكر : الخمر والميسر هل أحلهما الله . قال الفتى لا . قال منكر : أسرع يا نكير بمائة واربعين . احصاها اسماعيل الى ان تمت ضرباً وعداً . قال منكر : هذه ثلاث مائة كاملة . وما ابقي من آثامك فلا جزاء له الا الجحيم . يا نكير : خذه مع الزبانية الى نار حامية وبئس خاتمة المجرمين

ولي الدين يكن

يا أخي — بلغ تحيتي الى الصديق الجليل اسماعيل صبري ادام الله عليه رضاه ونعمته

يوسف حمدي يكن

الصحفي

— ٦ —

الى أخي يوسف حمدي يكن

سألني سميري : قال ألا تعرف صحفياً اسمه الشيخ محمد الخيامي، وآخر اسمه الشيخ محمد الشربتلي، وكان معروفاً بمحرر الجرائد الخمس؛ قلت لم أرهما. قال هذا حق، فقد ظهرا الى أن خفيا في بطن الارض، وأنت غائب عن مصر في (فووق)وفي منفاك (سيواس) ولكن ، ألم تسمع بهما . قلت : أكاد اذكر ان أخي حمدي حدثني يوماً عن اثنين من رجال الصحف ،عرفهما الناس في غيبتي ، وماتا قبل عودتي من منفاي كما قلت ، أما ما حدثني به من خبرهما ، فلا أدري كيف نسيته . قال : الآن ستعلم منهما ما لم تكن به عليماً . انهما قابلاني في الصباح ، واخبراني برغبتهما في زيارتك أصيلاً . فهما على وشك القدوم الينا

أقبل الضيفان ، قمت لهما مسلماً ومرحباً ، فلما جلسنا قال أحدهما، انا محمد الخيامي ، وهذا ولدي وصهري محمد الشربتلي ، قلت أهلاً بالسيدين الفاضلين ، كان سميري يحدثني الآن عنكما ، ولقد سرني لقاؤكما في دار النعيم .قال الخيامي . لسنا يا ولي الدين باقدم منك عهداً في عالم الصحف ، ولكن ، كان لنا مجلة باسم (النهج القويم) لم

يجهلها أحد من أهل زماننا ، ثم انشأنا صحيفة يومية باسم « العدالة » ، ولما سبقت ولدي هذا الى دار البقاء ، قام بأمر خمس من الجرائد الصغيرة ، لا وجود الآن لواحدة منها ، كان يكتبها جميعها في ساعتين ، كما كنت اكتب نصف « النهج القويم » في ساعة ، لم يكن ما كتبناه من قبيل ما يسطره بعض الكاتبين في هذا الزمان ، اتريد ان أسمعك مثيلاً لما ينشره ذلك البعض على الناس . قلت بل أتمنى ، فأخرج ، من جيبه ورقة ، وأسمعني هذا الكلام . (هذا منظر جميل وجميل جداً ، لا ينكر أحد من الناس انه منظر جميل جداً لانه يسر الناظر ويسره جداً ، ولا يسر الناظر الا المنظر الجميل جداً ، فلا شبهة في انه منظر جميل جداً . اذ لا جدال في انه يروق الناظر ويسره جداً ، كذلك يحب الناس كل منظر جميل جداً) . ضحكنا جميعاً . أما الخيامي فلم تزل عنه حدته . بل قال : يا ولي الدين ، انا والله اذا جننت فلا اكتب مثل هذا الكلام . قال الشربتلي : صدق استاذي ، واني لاذكر اني سمعت احد المشاهير من المغنين ساعتين ، لم يقل فيها الا : جرحني لحظك) فضاق صدري ، وقلت له : وماذا بعد هذين . فقال (وهجرني قلبك) واعادهما ساعة ، حتى اذا رجع واعسك بخناق (جرحني) تركت له المكان وقمت جرياً . وهذا ياسيدي غناء ، فما حال الذين يقرأون من الصحيفة شهرين أو ثلاثة ، كلها على ذلك الاسلوب السقيم ، والضرب الأليم . ما لهؤلاء لا يخشون على قرائهم ، أن يصيبهم من تلك السطور داء في ذات الصدور

تعجبت يا حمدي مما سمعته من الضيفين، لا أنكر ان ذلك البعض من الصحفيين ، هو قلة في كثرة من خيارهم ، ولكن يحزنني ان لا يرشدهم الى الصواب مرشد ، ليس في قانونكم عقاب لمن ينقدون الكلام . اشتد بي الحنق ، أخذت الورقة من الخيامي ، مزقتها ، قال لي ما ذنبها ، قلت ياشيخ : هذه النماذج تفسد على اهل الجنة لغتهم ، أتريد أن يطردونا من هنا ، وما بلغناها الا بشق الانفس ، ثم تحدثنا في الغابر والحاضر ، الى ان قال سميري : لقد آن لنا ان نذهب الى المحكمة ، ان منكراً ونكيراً سيسألان اليوم أحد الصحافيين ، فهل يصاحبنا السيدان ، قال الخيامي ، لابد من رؤية هذا الزميل ، وتهيأنا للمسير

فلما بلغنا ما قصدنا ، دخلت وتبعني صحابي ، رأينا جثة عليها ثلاثة أدراج ، من قماش أبيض ، قال الشربتلي : الزميل لم يحصل « على اشتراك السنة» ، هذه نهاية الصحافي ، والتفتنا فاذا منكر ونكير ، قلنا السلام على الملكين الكريمين ، قالا وعليكم السلام ، وأشار منكر الى الميت فقال : هذا العبد الذليل من طائفة تنشر بين الناس صحفاً قيمة ، فيها ما شاؤا من خبر صادق ، ورأي ناضج ، ونصح خالص ، وعلم نافع ، وأدب كامل ، ولكنه كان في خبره كاذباً ، وفي رأيه عقيماً وفي نصحه غاشاً ، وفي علمه ضاراً وفي أدبه ناقصاً ، وكان اذا نقل عن صحيفة خبراً لاريب في صحته ، رماها بأنها نقلته عنه ، وجهل حرية الرأى ، فلم ينشر منه الا ما كان يراه ، وكره الحق ابتغاء الاجر على الباطل ، فاضل وماهدى ، تقلب ، وتذبذب ، ومارى ، ونافق ،

بمكان على الناس شراً مستطيراً ، ستتسمون الآن منا اقراره بذنوبه ،
لقد حل ميقات السؤال والعذاب

تحرك الميت ، لم يفتح عينيه ، قال منكر ، كان الرجل سهران ،
ومات أثناء نومه ، ناداه مرتين ، يافلان يا فلان ، لم يرفع الصحفي
بصره ، وانما قال ، ماذا تريد ، أجئت بشيء من الاشتراك ، قال
منكر ، أرفع بصرك وانظر من تخاطبه ، يا عبد الله ، انك في موقف
الحساب والعقاب ، فتح الرجل عينيه ، رأى الملكين واقفين ، حاول
الوثوب الى النجاة ، فلم يستطع ، قال منكر ، أأيقنت انك فارقت دار
الغرور ، قال اجل ، هذا ما آل كل حي ، فماذا تريدان مني ، قال منكر :
سترى ما اراد الله بك في هذه الدار ، قل يا عبد الله أما هاجمت كثيرين ،
وهددت آخرين بالسب ، والقذف واعلان المساوىء ، لتنال منهم
ما تنفقه على طعامك ولباسك ، وسائر حاجاتك ، قال الرجل ، وأنت
أما علمت ان من الناس من لا يمدون أيديهم بالعطاء الا مرغمين ، قال
منكر ، أهذا برهانك ، ألم يبلغك ان ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام ، فما
قولك فيما أخذ قهراً ، بأساليب من الشتم ، وضروب من الوعيد ، يا نكير
استفتح بمائة ، عدها نكير عداً ، وقد ضلوعه قداً ، صرخ المسكين
ناظراً الى الشر بتلى ، حاسباً انه الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ،
قائلاً أغثني يا سعادة الاستاذ ، قال منكر ، لا مغيث لك من سؤالي
وجلدات صاحبي ، وليس من تناديه هنا انه في دار النعيم ، بجوار رب
كريم ، وبعد ، فقل لماذا لم تتعلم فينتفع بك قومك ، بل ادعيت ما تجهل ،

وحشرت نفسك في زمرة لست منها ، قال هذا ما قسم الله لي ، قال منكر هذه حجة الجاهلين ويانكير ، شد ساعدك بمائة ثانية ، رفع نكير سوط عذابه وانزله الى نهاية المائة ، قال منكر ، بقي ما أحصيته للحضور من سيئاتك ، ولا ارتياب في عجزك عن الدفاع ، يا نكير ، اجلده عليها بقدر ما جلدته ليتم العدد أربع مئات كاملة ، أعاد نكير غارته الشعواء ، الى ان تم المئات الاربع ، قال منكر ، لولا ما عاينت من ضنك الحياة ، ومطال المشتركين لكان مآلك الى النار ، فاللهم اغفر لعبدك المسكين ، انك أرحم الراحمين ولي الدين يكن

— ٧ —

المحامي

الى أخي يوسف حمدي يكن

حدثني سميري ، قال : مررت يوماً بحانوت جوهري . فلمحت من وراء الزجاج سواراً ، رصع باحسن الماس والياقوت ، وبينا انظر الى دقة صنعه ، ولألاء جواهره ، اذا بسيدة نصف ، معها فتاة بيضاء ، كأنما خلقت من النور ، ضاحكة العينين ، مهيبة الجمال ، كأنها حوراء فرت من بين هذه الحور ، قالت السيدة : أأعجبك السوار يا فلان ، السيدة تعرفني ، انا لا اذكرها ، لابد من الجواب على كل حال ، قلت نعم أعجبني ياسيدتي ، وحولت وجهي عنها ، لاذهب الى

سبيلي ، مخافة ان يظن الناس بي الظنون . قالت السيدة : اما عرفتني ، الم أكن جارتك فلانة ، وكانت ابنتي هذه طفلة ، ذكرت جارتي ، سبحان من يغير ولا يتغير ، كانت في فاقة شديدة ، وهي الآن في أنفر الحلل وأثمن الحلى ، لذا لم أعرفها حين نظرتها وناديتني باسمي ، فهل أسألها كيف تبدل حالها ، أنا لا أحب الفضول ، فالاوفق ان اكتفي بقولي : عرفتك ياسيدتي ، وحمدت الله على رؤيتك . فلما سمعت جوابي ، قالت : ادخل معي ، أني أود ان اشترى لابنتي هذا السوار وسأقص عليك من خبري ، مايذهب عنك مضاضة السكوت ، ويكفيك غضاضة السؤال ، قلت : أندخل للحديث أم للشراء ، قالت للشراء السوار أما للحديث ففي منزلي اذا شئت

دخلنا الحانوت ، رأيت كثيراً من النفائس ، عن اليمين وعن الشمال ، وفي صدر المكان لوحة كتب فيها بخط جلي هذا البيت

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلاً

تدانت له الاشياء من كل جانب

هذه لوحة حانت محلها ، ترى أي اديب اشار على الجوهري بوضعها ، ذكرت ياولي الدين ملاحظة لاخيك حمدي في اللوحات ، فقد قال . ان منها ما وضع في موضعه ، كلوحة في المحكمة كتب فيها (العدل اساس الملك) ، وثانية في حانوت « سمسار » كتب فيها (اذا عزمت فتوكل على الله) وثالثة على باب سوق من اسواق « فروق » في عهد المرحوم « عبد الحميد الثاني » كتب فيها (حفظ اللسان

سلامة الانسان) ، ومنها مالا يوافق المكان ، كواحدة كانت في « ادارة المؤيد » كتب فيها (انا مدينة العلم وعلي بابها) ومثيلة لها في غرفة الضيفان من منزل أحد الوجهاء ، فيها « زر غباً تزدد حباً » وشبيهة بها وضعها عظيم تحت رسمه ، كتب فيها (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها)

قابلنا الجوهري مرحباً ، هنأته بسلامة ذوقه فيما جمع ، وشمرونا السوار ثلاث مئات من الذهب ، ثم ركبنا سيارة ، بلغت بنا منزلاً جديد البناء ، ذا حديقة منظمة ، ورأيت كثيراً من الخدم والجواري ، فلما جلسنا وشربنا القهوة ، قالت السيدة : هذه داري ، كانت على وشك السقوط ، اظنك لم تنس دارها الاول ، فقد زرتنا مع والدك المرحوم قبل ان يموت بعلي ، ولقد مات ، فضاقت حلقات كربي ، وكان لنا حق مهضوم ، لا سبيل للوصول اليه ، فدلني اهل الخير على رجل من المحامين ، قلت لهم : ليس عندي ما انفقه على نفسي وابنتي فمن اين لي ما انفقه على المحامي والدعوى ، وانا امرأة لا اعرف القراءة فمن أراد ان يغشني سهل عليه ما اراد ، قال قائل منهم . لا تخافي الرجل ، انه من كرام الناس ، واني لصاحبك اليه ، وسحدثه بخبرك ، وفي الغد توجهنا الى مكتب المحامي ، فابصرت برجل تنم سيماؤه على الشرف والنجدة ، ولما علم بامري من مصاحبي ، دمعت عيناه رحمة بي وابنتي ، وقال . أما الاجر على هذه الدعوى فانه على الله ، واما ما يلزمها من النفقات ، فتكون ديناً اذا ربحت ، ولا أطلب ردها اذا

خسرت ، على هذا تم الاتفاق ، وبعد اشهر معدودات جاءني البشير مهنئاً بحصولي على حقي ، أخذت آلافاً من الدنانير ، اقسم المحامي ان لا يأخذ منها سوى ما انفقه ، ولقد بنيت داري ، واصلحت شأني وعنيت بتعليم ابنتي ، وانها ستتزف قريباً الى أين هذا الرجل العظيم

هذا ياولي الدين ما سمعته من تلك السيدة قصصته عليك ، وان ما ستراه اليوم في المحكمة لنقيض هذا ، ان المنكر ينتظر ان اليوم أحد المحامين ، انه رجل جمعت فيه نقائض طائفته ، فلا نظير له فيها ، وقد أزفت الساعة ، فسر معي لنري ما سيكون

بلغنا دار العدل بعد مسير قليل ، دخلت وتبعني سميري ، فاذا بمنكر ونكير ، يتحدثان بجانب جثة ، فلما تبادلنا التحية ، قال منكر : هذا العبد الخاطيء ، جهل انه من جماعة من الناس ، تعلمت الشرائع الوضعية ، لتحمي الضعيف المظلوم ، من القوي الغاشم ، اذا أراد ان يمد يد الاذى الى ذلك الضعيف ، أو الى ماله ، كذلك لم يعلم ، ان بني مهنته كانوا في غابر العصور لا يلزمون أحداً بأجر ، لاعتقادهم ان لمهنتهم صلة بالنفس الكريمة ، وان النجدة لا تباع ولا تكتري ، فجعل لنفسه رزقاً حراماً ، وعائدة لا بركة فيها ، يزيد بها ماله ، ويقل ايمانه ، ثم تفارقه صفات الانسان ، فلا يشبهه الا في صورته ، سترى الآن ما هوت اليه هذه النفس الآثمة ، ها هي الجثة تتحرك

فتح المحامي عينيه ، وجلس مسنداً ظهره الى الجدار ، فصرخ الملك في وجهه قائلاً ، انا منكر ، وصرخ زميله بقوله ، وانا نكير ،

ارتجف (الاستاذ) هلعاً ، وكاد يموت ثانياً فرقاً ، فقال وقد الجم الرعب فاه ، ماذا تريدان ياسيدي ، قال منكر ، تعلم انك مت ، قال أجل ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قال منكر أيمنع قانونكم الجزاء اذا اعترف الجاني في المحكمة ، قال . بل تزيد جريمته ثبوتاً ، قال منكر . بهذا القدر ينفعك ايمانك الجديد ، أين كان ايمانك بالله عز وجل . حين كنت تتخذ من لهفة الملهوف سلاحاً ماضياً ، تشهره في وجهه ، ليعطيك من الاجر ما تستحق ، وكما توسل اليك اعرضت عنه ، وعظمت في عينيه أمره الحقير ، لتخرج من جيبه آخر درهم يملكه ، يا نكير ، ناوله خمسين على قلبه ، لاتتجاوز مكان ايمانه الضائع : تتالت الضربات ، تليها الصيحات ، الى ان كمل عددها ، قال منكر ، وهل من (الاصول) أيها (الاصولي) ، ان تبذر بذور الشقاق بين الاخ وأخيه ، والوالد وأبيه ، والزوجة وبعلها ، أليس في الطائفة كثيرون ممن يصلحون بين الاهل ، ولا يسعون في زيادة العدوان بين ذوي القربى ، قال المضروب على قلبه ، صدقت ياسيدي ، قال منكر . فلماذا لم تقتد بأولئك الصالحين ، كل هذا لتملأ بطنك ، من مال جلبه الافساد بين العباد ، يا نكير ، هذه بطن لم تشبع ، أشبعها بمائة وخمسين ، بلع (المتر) المائة والخمسين بالشفاء والعافية ، قال منكر : ومن ذا زين لك ، أن تأخذ رسوم الدعوى ، فتنفقها على نفسك ، ولا تعطي سنداً بما أخذت ، ولم تعده الى صاحبه عند الميسرة ، بل كنت علة شقائه وسبب خسرانه ، قال الرجل : لعن الله الشيطان ،

قال منكر . ان الشيطان ليأبى أن يصنع ما صنعت ، وان كان لك شيطان خاص ، فهو نظيرك ، وأظنه كان ممتطياً ظهرك . يا نكير ، طهر المكان بمائة طيبة ، طهر المكان من خبث ذلك الشيطان ، قال منكر . وما دفاعك القانوني في التأخر عن الحضور الى (الجلسات) وفي الاتفاق مع الخصم على أن تضيع حق من وكالك . قال المحامي كفى بالله ياسيدى قال منكر . الآتي سيكفيك . يانكير خذه الى قرار السعير

ولي الدين يكن

الشاعر

الى اخي يوسف حمدي يكن

زارني في الصباح الخطاط الشهير ، استاذي محمد افندي مؤنس ، قال ياولي الدين . لقد كنت من خير تلامذتي ، وكنت في ذلك الحين تعالج النظم ، فما ارتبت في انك بالغ منه حظاً وافراً ، ولقد قيل لي بعد ارتحالي عن الدنيا ، انك برعت في اكثر الفنون الجميلة ، فكنت بليغ الشعر ، حسن الخط . بديع التصوير ، جيد الايقاع على (المندولين) . ولا اذكر اني رأيت شاعراً خطاطاً ، ولا خطاطاً شاعراً . قلت : أما انا فاذكر لي صديقاً حميماً . قال من هو . قلت هو الاستاذ المعروف نجيب بك هواويني . قال صدقت . لم اره لانه شاب لم يدرك عصري . لكنني سمعت ممن رأوه انه شاعر رقيق ، أما خطه . فقالوا انه لا مثيل له عندنا ، هذا الكلام مما يؤلم صديقي الاستاذ العظيم

عبد الله زهدي ، لكن لا بد أن يقال : ألم تذكرني عنده ياولي الدين قلت ذكرتك وذكرت الاستاذ عبد الله زهدي . فأثنى عليكما اطيب الثناء ، وانه لشديد الاعجاب بآثاركما . طال حديثنا في الخط والخطاطين وانا لكذلك اذا رسول من سيد الشعراء . محمود سامي البارودي . قلت ما وراءك ، قال صديقك يدعوك الى قصره . قلت ومن عنده . قال شاعران وكاتب ، أما الشاعران فهما علي الليثي ومحمود واصف ، وأما الكاتب ، فهو علي يوسف (صاحب المؤيد) قلت لضيفي : اتصاحبني الى هذا المجلس ، قال : اني وعدت صديقي جعفر الخطاط المعروف بان ازوره بعد زورتي اياك . فهو ينتظر قدومي . وقام الضيف مسلماً ، وانصرف الى صديقه

قلت لمن عندي : اذا جاء سميري فانا في قصر البارودي ، وسرت مع الرسول الى جنة الصديق ، فلما باغتاها دخلت ، الفيت الصديق بين جلاسه ، فحييت الجميع وجلست ، قال البارودي : اعلمت ياولي الدين ان أخانا علي يوسف يعيب شعري ، قلت وما الذي عابه من شعرك ، قال هذا ما سمعه الآن ولم يرض عنه ، وهو ما يحضرني من احدى قصائدي ، وانشد

ردي التحية يامهاة الاجرع ... وصلي بحبلك حبل من لم يقطع

وترفقي بمتيم علقت به ... نار الصبابة فهو ذاكي الاضلع

طرب الفؤاد يكاد يحمله الهوى ... شوقاً اليك مع البروق اللمع

لا يستنيم الى العزاء ولا يرى ... حقاً لصبوته اذا لم يجزع

ضمنت جوانحه اليك رسالة عنوانها في الخد حمر الادمع
فمتى يبوح بما أجن ضميره ان كنت عنه بنجوة لم تسمع

قلت : والله كأني أسمع شعراً لجرير ، أمثل هذا الشعر يعاب يا أستاذ ، فضحك علي يوسف وقال : اني ما عبته الا بقولي : أنه لا يوافق عصراً كنا فيه . ولن يروق اهل العصور التي تليه ، قال محمود واصف : ليس فيما سمعناه ما لا يفهمه عارفو لغة العرب ، وانه لمن خير ما قيل : لا يستطيع ناثر ان يقدم فيه أو يؤخر ، تنزه عن المبتذل والمهجور ، وبرىء من ركاكة القافية ، فوعت الآذان معانيه البليغة في الفاظة الفصيحة ، قلت : يا واصف ، اني علمت مراد الصديق علي يوسف ، انه لم يعبه بكلمة نقد ، وانما أراد أن يقول شتان ما بين هذا القول العربي ، وبين القول المألوف ، مما لا يتعذر فهمه ولا على العامة ، كقول أحد الشعراء

واذا نعمة من الله جاءت
اشكروه فانه يستاهل

واذا ما نظمت شعراً ركيكا
اعذروني في ركبتي دماميل

وكقوله في المديح

دام يدوم الدوم من دوامه
شهم تحلى في الورى بكلامه

وفي الغزل

رأيت غزالا فوق غصن تدحرجا
سلب مهجتي والعقل مني تمخرجا

ومن هذا القول المألوف ، بيت حبيبنا الشاعر احمد شوقي

مولاي عبدك طائع
فافعل به ما انت فاعل

ضحك الجميع ، وقال الشاعر علي الليثي . لمن الابيات التي انشدتها قبل هذا البيت الاخير ؟ قلت لا أدري ، لعل الصديق علي يوسف يعرف قائلها ، انها قيلت وذاعت بين الادباء في عصره ، قال لي يوسف : اليست على علاتها أخف على النفس من بيت شوقي ، ولما طال الجدال قال البارودي . دعونا يا قوم من هذا الكلام ، قل ياولي الدين ، أأنت على نية الذهاب الى المحكمة في هذا اليوم ، قلت اني انتظر سميري ، وسأعلم منه باخبر اليقين ، ولم تمض لحظة الا كان سميري بالباب ، يقول اسرعوا ، قلت الى اين ، قال ان المحكمة تنتظر احد الشعراء ، فهلموا ياقادة الامم ، وملوك الكلام

قمنا جميعاً ، وجهتنا دار الحكم ، بلغناها ، دخل البارودي وتبعناه فابصرنا بمنكر ونكير ، على رأس جثة لا يسترها سوى درج واحد ، قال علي الليثي ، لو لا هذا الدرج ، لقلنا غادرها كما جاءها ، هذه ضلوعه بادية من تحت القماش ، أظنه مات جوعاً ، يموت الشاعر الغربي ، فيترك لذويه آلاف الآلاف من الذهب ، غير الدور والحقول ،

وتسمى باسمه الطرق والسيارات في البحر ، وتقام له التماثيل ، ويعيش الشاعر فيك أيها الشرق ، فلا يجد ثمن طعام يشتهيه الا في النادر ، اذا نصح أعرض عنه الكثير ، واذا مدح قالوا سائل محروم . وما نحن على اشباع امثاله بقادرين ، وان هجانا له من الاذى ما لا يقدرون الا عليه ، قال منكر : لا تطل الدفاع عمن لا يستحقه ، هذا العبد المذنب ، أنزل الشعر من عزة الحكمة ، وشرف الوعظ ، ومقام الارشاد واوج الخيال ، الى ذل المديح لمن ليس به جديراً ، لانه اطعمه ، وهوى به الى حضيض الهجاء لمن لم يكن له أهلاً ، لانه أحرمه ، ولقد سرق مرة بيتين لشاعر آخر وخاطب الحضرة الالهية في ذات يوم بما لا يقوله العبد لمولاه : ها هو يتحرك ، وانك ومن معك سترون حسابه وجزاءه .

نظر الشاعر يمنة ويسرة ، قال منكر : أين أنت يا عبد الله ، قال لا أدري ، من الذي اتى بي الى هذه الغرفة اللطيفة ، قال منكر : ويلك يا رجل ، هذا قبرك قال الشاعر : لا تمزح ، أفي الدنيا قبور لا تدانيها بعض المنازل ، قال منكر : وقد دمعت عيناه ، والله انه لقبرك وهو من حفر القبور ، قال المسكين ، لو علمت ذلك لمت قبل اليوم ، أعندك خبز يا أبتي ، فاستعبر البارودي وانتحبنا ، قال الملك انا منكر وهذا أخي نكير ، أعلمت اننا نطعم الموتى بعد بعث السؤال ، أم نحاسبهم . قال : اعوذ بالله منكما ان كنتما ظالمين ، قال منكر لا ظلم في دار العدل ، أجب يا هذا ، أما مدحت فلاناً على لا شيء ، سوى أنه

أطعمك قال الشاعر : وهل كنت اهجوه على اطعامه اياي قال منكر ولكنك أنزلت الشعر من مقامه الاعلى الى هذا الحضيض قال : لقد تقدمني من لا أماثلهم في حكمتهم وارشادهم ، فكان اوفرهم حظاً من قيل له أحسنت يافلان ، وقولهم أحسنت لايغني من جوع ، أتحكم يا سيدي بجلد الجائع اليائس على هذا المدح ، قال منكر : تجاوزنا عن هذا ، وما قولك فيمن هجوته ، لانه أحرمك ، قال الشاعر : أكان واجبي أن أمدحه على حرماني ، الشاعر الغربي في بلاده ، يزور رئيس الوزراء فيستقبله من باب قصره ، ولقد زرت من هجوته ، وكنت لم أذق طعاماً ولا نوماً ، وكان على المائدة مع رفاق من أشباهه ، فلما أخبره الخدم بقدمي ، لم يأذن لي بالمثول بين يديه الا بعد رفع المائدة ، فوقفت ساعة بباب قصره ، ولما أذن لي ورآني ، عاتبته على ايقافي ببابه ، فطردني من حضرته ، فما حكمك ، قال منكر : وهذه تركناها ، فما عذرك في سرقة البيتين من قول غيرك ، قال : أمرني غني ان أمدحه ببيتين ، وقال لن أعطيك ثمن حذاء تشتريه بدلاً من هذه النعل البالية ، الا اذا قلت البيتين في دقيقتين ، قاصداً بذلك اعجازي ، وكنت مشرد الفكر من الهموم ، فكتبت له بيتين لشاعر من السالفين ، فلم يعطني الا نصف ما وعدني ، فبماذا يقضي عدلك ، قال منكر : وهذه أهملناها ، فما حجتك في خطابك مولاك ، بما لا يجوز لعبد ان يقوله ، قال الشاعر : طردني صاحب الدار في ذات يوم لأني لم أعطه أجرة غرفته ، فذهبت الى غني أعرفه له منزل في أقصى المدينة ، سرت

الى ان تعبت ، ولما بلغت المنزل ، قيل لي انه سافر الى ضيعة له ، فرجعت من حيث اتيت . لم استرح لحظة ، الخدم اقفلوا الباب في وجهي ، وبينا أمشي مشية الثمل ، لما حل بي من النصب ، ذكرت ان عندي (سيجارة) باقية من الامس اردت اشعالها ، فلم أجد معي زناداً ولا كبريتاً فوضعتها بين السبابة والوسطى ، علني اجد في طريقي من اشعلها منه ، وبعد خطوات دفعني احد المارة بكتفه ، فوقعت السيجارة على طين مبلل ، ثم مرت بها عربة فيها رجل ، بجانبه دجاجتان ، فرفعت وجهي الى السماء وقلت الهي : الدجاج عند الناس أفضل من الشاعر ، ليتك خلقتني دجاجة ، هذا كل ما خاطبت به مولاي ومولى البرايا ، فماذا ترى ، قال منكر : لا مناص من الجزاء ، وان كانت الظروف توجب التخفيف ، يا نكير ، يكفيه عشر جلدات ، ضرب الملك ، وصرخ الشاعر الى ان تمت العشر ، قال منكر : هؤلاء من خير الشهداء ، وهم عند ربهم في نعيم مقيم ، فاذهب معهم الى الفردوس ، ان الله يغفر لمن يشاء ، وان الله بعباده لرحيم

ولي الدين يكن

— ٩ —

التاجر

الى أخي يوسف حمدي يكن

حدثني سميري : قال كان لابي ضيعة ، يتوسطها منزل جعلناه مضيفنا ، يقيم على حراسته رجل من ذوي الامانة ، فباع ابي الضيعة ، وبعد سبع من السنين جاور ربه ، فلما كنت معك في (فروق) ، خرجت يوماً للتريض بمفردي ، وبقيت في دارك ، تنتظر أمر نقلك من عضوية (الجمعية الرسومية) ، الى عضوية (مجلس المعارف الكبير) وفي حضرتك الشاعر القدير ، جارك الآن في الفردوس ، « يحيى السلاوي » ينشد قوله للخليفة عبد الحميد الثاني ، في أحد رجاله

أمير المؤمنين فدتك نفسي ونفس ابي الضلال لها الفداء
أتحبسه وتقتلنا جميعاً لعمرك ان ذا لهو البلاء
فلا والله ما هذا بعدل ولكن انت تفعل ما تشاء

اتذكر ذلك اليوم ياولي الدين . قلت نعم ، ولن انساه . قال : جد بي السير الى شارع (بانغالتي) ، فركبت « الترام » ، وكان كما تعلم يجره حصانان ، من خيل تحتاج الى من يجرها ، وجهتي حديقة بديعة التنسيق تسمى (تقسيم بغجه سي) ، قلت ويلك يا رجل ، أفي رياض فروق ما أجهله ، فتصفه لي ، قال عفواً ، ليس من الوفاء لجنة

الدنيا أن أذكر ناحية منها بلا نعت، هذا ما أردته، فاستمع لي ولا تقطع حديثي، سار الترام، كسير عربات الحجر في مصر، لو سعيت لسبقته، لكنني اخترت أن أشاطر راكبيه عذابهم، حتى اذا بلغ بنا الروضة، كانت أحشائي مقلوبة الوضع، عاليها سافلها، ندمت على مخاطرتي بنفسي، ولات ساعة مندم، ونزلت الى الارض، أنشدت بيت «بديع الزمان»

أنل قدمي ظهر الارض اني رأيت الارض أثبت منك ظهرا

دخلت الروضة، جلست في نهايتها لأشرف على البحر، كان همي تدليك بطني، فلما أقبل الخادم سائلاً عما أطلبه، قلت انتظر، اني نازل من الترام، ابحث عن معدتي ولا أجد مقرها، فضحك وانصرف عني، طرقت أذني ضحكة عالية، من هذا المهذب، تلفت لم أجد بقربي سوى رجل أسمر اللون، ذي لحية في لون شاربك يا ولي الدين، جمعت كل الألوان، على رأسه عمامة مصرية، تأملته، تبسم لي، هذا وجه كأني رأيته، فأين نظرته، لم يطل تفكري، دنا الرجل مني وقال: أنسي المولى عبده، في سنين لم تزد عن العشر، ألم أكن حارس منزلكم، في الطبقة التي بعتموها، قلت أهلا بك وسهلا، لقد أصاب الشاعر القائل

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وأجلسته بجانبي، قال فارقتني في الضيعة، ولقيتني في دار الخلافة، أليس هذا عجيباً، قلت اجل، قال: واعجب من هذا خبري الذي سأرويه، اقمت مع من اشترى الضيعة من ابيك ثلاثة أشهر، لم اطق

صبراً على البقاء اكثر منها ، اساءني وظلمني ، وما تعودت ان ارى من ابيك ضيماً ، فرحلت الى قرية مجاورة ، وكنت مدخراً مائة دينار ، قالت لي النفس اني لا احتمل ذل مولى آخر ، فاضرب بنهمك في التجارة ، اني لآمل ان تصيب خيراً ، اقتنع بما قسم لك ولا تطمع ، من قنع بالرزق استغنى عن الخلق ، لبيت دعوة النفس المطمئنة ، فاكتريت داراً ، واشتريت بما املك مقداراً عظيماً من الحبوب ، وانتشر الجراد ، فلم يبق ولم يذر ، علت اثمان الحبوب ، وشرهت نفوس البائسين الى الربح الكثير ، قست قلوبهم على الناس فباعوا باضعاف ما اشتروا ، وكانوا على الضعفاء بلاء شديداً ، ولقد بعت بنصف ماباع اولئك ، واقتدى بي ذوو القناعة من المتجرين ، فأقبل علينا الناس من كل فج عميق ، وتحدث بخبرنا كل غاد ورائح ، وهلك دليل صدقي هذه صحف منتشرة ، اقرأ فيها ما ذكرته عنا ، ولقد كان ربحنا بحمد الله وافراً ، بارك الله لنا فيما عندنا ، فلم يصبنا الدهر بما أصاب به الظالمين ، في أموالهم ، وبنيهم ، وانفسهم ، ثم هاجرت من القرية الى مدينة واسعة ، فاتجرت بانواع مختلفة ، من حب وقطن وقماش ، ولي فيها الآن دور متعددة وارض جيدة الزرع وسفائن تسير الى اقصى المدن وشب ولداي وتعلما ماينفعهما ، ولقد جئت الى فروق لاشتري من نفائسها ما ندر وجوده عندنا هذا ما حدثني به الحارس التاجر ، فشتان بين ما سمعته ياولي الدين وبين ما ستراه ، ان محكمتنا ستحاسب اليوم أحد التجار ، وان الساعة لآتية

دخل علينا جارنا العزيز ، يحيى السلاوي ، سلم وسلمنا ، قلت الآن كنا نذكرك ، قال ولقد ذكرتكما ، واشتقت اليكما فزرتكما ، تمنيت ياولي الدين لو كنت معك في الاسبوع الماضي عند صديقنا البارودي ، وفي المحكمة ، لقداتصل بي ان اخواننا في دار الفناء تعجب بعضهم مما أدرك أخانا الشاعر من رحمة الله ، أنسي المتعجبون ان الشاعر في بلادنا من أشقى العباد ، ولولا تلك الهفوة لما أصابه من الملكين ما أصابه ، الم تدر يا صديقي اني سئلت عن هجوتهم ، فقلت اني ما هجوت سوى طائفة الجواسيس ، في عصر عبد الحميد الثاني ، وقد قال الله تعالى (ولا تجسسوا)

فلم أسأل بعد هذا عن شيء ، ودخلت الجنة بسرعة خمسين حصاناً قلت أجدت الوصف ، وقد كان وجهك في الدنيا كوجه (البراق) لولا سمرة زالت الآن ، وخلاة في أسفله ، كنت تدعوها لحية ، اراحك الله هنا من حملها ، فضحك السلاوي وقال : اوحشني والله كلامك يا ولي الدين ، قال سميري ازفت ساعة المحاكمة ، قال السلاوي : ومن الضيف الكريم ، قلت تاجر ، اتود مصاحبتنا ، قال : بل أتمنى سعينا ، جئنا الى دار الحساب والقصاص ، فدخلت وتبعني الصاحبان ، حيينا الملكين ، فردا بأحسن تحية ، ثم نظرنا رجلاً أبيض اللون ، عليه من الادراج أنفسها واغلاها ، كان فاتحاً فاه فلم نر فيه ولا سناً ، قال منكر : كانت اسنانه صناعية ، من الذهب المرصع بالياقوت ، فلما مات بكاه ابناؤه وخلعوا اسنانه في وقت واحد ، قال

السلاوي : فكيف تفهم كلامه ، الا يوجد عندكم (طقم) قديم ، قال الملك : ان الذي وهبك هذا اللون الابيض لقادر على ان ينبت اسنانه فيكلمنا ونفهم خطابه ، وبعد ، فهذا العبد الاثم من طائفة بين أيديها حاجات الناس ، من ذوي اليسار والمعدمين ، لم يشابه أحداً منها في شيء ، كان يبيع بأضعاف ما يشتري ، ويكذب على الناس زاعماً أن بضاعته من أجود الأنواع ، ويقسم في النهار الف يمين انه يريد بدل الربح فائدة العباد وخدمة البلاد ، وكم سرق في الميزان والمكيال والمقياس ، وباع القديم باسم الجديد بعد اصلاحه ، واتخذ من ثقة أصدقائه به معيناً على غشهم ، الآن ستعاوده روحه ، وينطق بذنوبه فيلاقي جزاءه

تقلب التاجر يميناً وشمالاً ، ثم أطبق شفتيه . وفتح جفنيه ، قال منكر : يا عبد الله ، لقد غادرت دنياك ، وجئت الى دار الحق ، فلا تنكر شيئاً مما جنيت ، ان الله بكل شيء عليم ، ألم تبع بأضعاف ما اشتريت ، قال التاجر : اما احل الله البيع والشراء ، قال منكر : ولكنه سبحانه لم يأمر بالطمع ، وقد أنذر من احبوا المال حباً جماً ، ولقد كنت بلاء على بني آدم حتى في السنين الشداد ، يا نكير علمه القناعة بمائة جلدة ، استغاث الرجل ، واجاد نكير في الدرس الاول ، قال منكر : والكذب ، أأنزله الله ، قال التاجر : تعودته من الصغر ، قال منكر : لابد من محو هذه العادة ، يا نكير مائة ثانية تنسيه عادته ، عددناها ياحمدي واحدة واحدة الى ان تمت المائة الثانية ، قال منكر :

وما قولك في القسم الباطل ؟ قال التاجر تعلمته من ابي ، فهو مسؤول عنه ، قال منكر : كل يسأل عن عمله ، يا نكير اجلد مائتين شديدتين ، وفي نكير ساعداً مجدولاً وانزل مجلداته كالصواعق او اشد ، الى ان تم العدد ، قال منكر : أما مابقي من سيئاتك ، وقد سردتها على الحاضرين ، فلا جزاء الا جهنم ، ان أباك ينتظرك فيها ، فاذهب مع الزبانية الى الجحيم ، هذا جزاء الطاغين ولي الدين يكن

يا أخي ؟

بلغ تحياتي الى صديقنا الشاعر القديم ، يحيى السلاوي بك ، أدام الله عليه رضاءه ونعمته

يوسف حمدي يكن

ناظر الوقف

— ١٠ —

الى أخي يوسف حمدي يكن

ذكرت بالامس ليلة من ليالات آلامي الشديدة ، في آخر منزل سكنته بحلوان ، كان بيني وبين ارتحالي عن الدنيا أيام قصار ، لها ليال طوال ، أحست بهولها نفسي ، وما قدرت لها عدداً ، ذلك علمه عند ربي ، نظرت لوحة أمامي ، فيها بيتان من شعري ، كتبهما صديقي الاستاذ نجيب هواويني بك ، بخط جلي غاية في الحسن ، انك تعرف

اللوحة "يا حمدي ، وقد علمت انهـا الآن في غرفة ولدي فولاد يكن وما زلت اذكر البيتين

يا جسداً قد ذاب حتى امحى إلا قليلاً عالقاً بالشسقاء
اعانك الله بصبر على ما ستعاني من قليل البقاء

فلما قرأتهما في اللوحة ، فكرت فيما سألقاه من أيامي الباقية ، ثم مجسم لي ألم الفراق ، في عذاب المشرجة ، فوقفت انظر يمنة ويسرة ، لا ادري الى اليوم ، اكنت ابحث عن الموت ام كان يبحث عني ، دخلت زوجتي مع الطبيب تأملتهما كأني لا اعرفهما ، حارت زوجتي ، وقال الطبيب: ما خطبك ياولي الدين ، قلت ما حال من ينتظر عزرئيل بين كل آونة وأخرى ، مد الطبيب يمينه الى شمالي ، جس نبضي ، لم أر في عينه دليلاً من دلائل البشر ، لكنه تبسم فقال : لاتيأس أيها الصديق ، انك لاحسن حالاً من كل يوم ، ولقد جئتك بدواء ناجع ، سيكون لك منه نفع كبير ، شفى الله به اناساً كانوا على حافة الهلاك ، والله على ما يشاء قدير ، واقعدني ، وقعد أمامي يحدثني بلفظه الخالب ، وأشار الى زوجتي ، فأتت بزجاجة الدواء وقدح صغير ، فتناولت جرعة ، اعقبتها ثانية ، بعد زمن قليل ، ذهب النصف من آلامي ، وتنفست تنفس المستريح ، ولما ودعني الطبيب ، شكرت له حسن صنيعه ، وبقيت مع المظلومة ، شريكتي في سهدي ، ممرضتي ، سميرتي ، زوجتي ، الا حيا الله ذلك الوفاء النادر ، وطوبي للذين أنعم الله عليهم بصادقات الحب من الزوجات

اخبرتها بما لقيت من راحة ، عاودني بها بعض الامل في الحياة ، فابتسمت مغرورقة العينين ، ورفعت بصرها الى السماء ، تناجي ربها باسمة في بكائها ، أو باكية في تبسمها ، ثم تجاذبنا أطراف الحديث ، فحدثتها بأماني الغوالي ، وأعلنت لها ما أنويه من اتمام كتبي الناقصة ، واصدار مجلة ادبية ، وطال الكلام في حلو الاماني الى آخر الليل ، ادركني نعاس لذيذ ، نمت ساعتين ، لم انم في مرضي ساعتين متتاليتين صحوت بعدهما ، اتدري كيف صحوت ، كنت أحاول التنفس فلا استطيع ، جحظت عيناي ، وايقنت بالهلاك ، فهممت بالقيام فوقعت ، صحيت المسكينة مذعورة ، أدركتني بزجاجة (الاتير) ثم جاءت «بحقنة الكافور» فاعانتني على الحقن ، أفقت قليلاً ، حييت وجه الصباح ، وبحثت بين أوراقي عن كراسة فيها مذكراتي ، فعثرت على ورقة فيها أبيات لاسماعيل صبري ، اظنها لم تنشر والابيات :

نبيت من المنى بني قصوراً ... وندعمها فيهدمها النهارُ
فيضحك ساخراً مناوقوفاً ... على انقاضها الفلك المدارُ
برئنا من مهاقرة الاماني ... يليها الصمر من خبل خمارِ
فكم قربن من امل بعيد ... تعثر دونه الهمم الكبارُ
وكم ادلين من عال فمدت ... اليه اكفها ايد قصارُ

هكذا حدثني اسماعيل صبري بما في نفسي ، قلت : ان للشمعة هبة قبل انطفائها . وللانسان مثلها قبل آخر انفاسه ، وما تلك الا اولى هباتك ياولى الدين ، فما اكذب الاماني في مواطن اليأس

حدثت سميري بما ذكرت ، قال : ان في عباد الله من أكاد أشبه امانيهم بتلك الاماني الكاذبة ، أولئك من حبسوا ما يملكون من دور ومزارع لتكون وقفاً ، إما لذريتهم من بعدهم ، وإما لسبل الخير ، لقد كان عملهم كتلك الجرعة التي شربتها في ليلتك ، وجدوا فيما عملوا بعض الراحة ، ومنوا أنفسهم باحسن المنى ، ها هم بيننا الآن آسفون نادمون ، الذين حبسوا المال يأساً من صلاح ذريتهم ، علموا كيف عبث الاخلاف بما تركوا ، وكيف استنبطوا من ضروب الحيل ما جعل الوقف كانه لم يكن ، والذين وقفوا أموالهم لوجوه البر ، درى اكثرهم ما يصنعه فريق من الناظرين ، ليخص نفسه بالنصيب الاوفر من عائدة الوقف ، ان محكمتنا تنتظر اليوم ناظراً من ذلك الفريق وسيحضر المحاكمة عدد عظيم من الواقفين ، لو كنت املك ياولي الدين آلافاً من الضياع ، لما وقفت منها شيئاً لذريتي ، فان احسنوا القيام من بعدي ، فالمال مالهم ، وان اساؤا ، فقد انتقل الى من هم به اولي ، لن يزول المال عن الدنيا الا بزوالها ، وما نصيب المرء منه الا على قدر عمله ، هذا رأيي وان خالفني فيه بعض الناس ، والآن أرى ان نعجل بالذهاب الى دار العدل ، لكيلا يفوتنا شيء من الحساب والقصاص

قمنا ، أوسعنا الخطى ، بلغنا المحكمة ، دخلناها فاذا مكان لم نر مثله في اتساعه ، مزدحم بالواقفين ، لمحت الملكين في ناحية من المكان فاقبلت عليهما ، تبادلنا التحية ، قلت لهما : أفي الدنيا مثل هذا القبر ، قال منكر : ما هذا بقبر هذا أحد الكهوف النائية ، نقلنا اليه الميت ،

اذ علمنا ان الحاضرين كثيرون ، قلت وأين المسكين ، قال : هناك مرتفع من الارض وضعناه عليه ، ليراه هذا الجمع العظيم ، قلت اتعلم اني اراسل أخي باخبار من يصلون الى هنا ، قال : وشيطان اخيك يوافيني بالمقطم كلما زار أخاه لذا سأختار لك المكان القريب ، وشققنا الصفوف الى قرب الجثة ، هناك وقف منكر خطيباً فقال :

عباد الله ، ان الله يجزي الصالحين من عباده خير الجزاء ، ويمهل الذين خبثت نفوسهم فساءت اعمالهم ، الى يوم لا مناص لهم من هوله ، تخشع فيه الابصار ، وتسود وجوه العاصين ، ليس لامر الله من دافع ، حساب شديد ، وعذاب اليم ، هذا العبد المذنب ، أحسن ابويه به ظنه فجعله ناظراً لوقفه ، فما خشي الله ، ولا رفق بالضعفاء من ذوي الحقوق ، وفيهم اخوته واخوانه وعتق ابيه ، قتر عليهم فيما رزقهم الله ، فأعطاهم حقوقهم ناقصة ، واستكتبهم سندات بأخذها كاملة ، وكان يتفق مع المكترين على كراء لا تذكر حقيقته في العقود ، ويتجاوز لهم في نظير ذلك عن جزء من كراء المثل ، فاذا جاءه رجل ليكتري منه داراً ، وكان كراء مثلها عشرة من الدنانير جعل كراءها ثمانية وكتب العقد بستة ، وقبض الدينارين ، فنفع المكتري ونفسه ، وأضر بأصحاب الحق ، وكم باع من الموقوف ما لم توضح حدوده أو مقاييسه ، وكم ادعى الانفاق على اصلاح الدور والاخربة ، وما أنفق الا على نفسه ، انه سيبعث الآن للسؤال والعقاب ، انظروا الى الجثة

اشرأبت الاعناق ، وساد السكون ، تحرك الميت ، اسند ظهره على حجر قريب ، نظر الى الجموع فارتجف وقال : هل حكم علي بالاعدام أنا لم اقتل احداً ، قال منكر : يا عبد الله ، انك فارقت دنياك ، فأنت الآن في دار الجزاء الحق ، وما جاء هؤلاء الكرام البررة الا ليشهدوا موقفك ، قل يا كثير الذنوب ، ألم تحرم ذوي الحق من حقهم الكامل باعطائهم اياه ناقصاً ، قال الناظر ، اجل ، ولقد ندمت ، قال منكر ، ما ندمت الاهنا ، ولن يجدي الندم ، يا نكير ، اجلده مائتين شديدتين ، صاح الناظر ، وضرب نكير ، والواقفون ينظرون ، الى ان تم العدد ، قال منكر ، وما اعتذارك عن بخس الكراء ، اتأخذ ما ليس من حقك ، قال زينه لي اناس من اهل الشر ، قال منكر ، ان شياطين الانس لا يغوون الا من يعلمون ان في انفسهم نزعة الى الشر ، ولقد أصاب القائل — !

انما تنجح المقالة في المر ء اذا صادفت هوى في الفؤاد

يا نكير ، اريد ثلثمائة أشد وانكى ، رفع نكير سوط عذابه وانزله ثلاث مائة من المرات ، وقبل ان يوجه منكر سؤاله الثالث ، خرج من بين الصفوف رجل يبكي ويقول ، اللهم رحماك بعبدك فانه ولدي ، ورأينا ملكاً هابطاً الى منكر ، يأمره بالكف عن السؤال ، ويبلغه عفو الغفور الرحيم

ولي الدين يكن

الكاتب

— ١١ —

الى اخي يوسف حمدي يكن

خرجت مع سميري الى الروضة . جلسنا في ظل شجرة ، على شاطيء النهر . شجاني صوت تهفو القلوب اليه . مددت بصري ، رأيت شاعر الروض وصبه الواله ، البلبل ، يغني وردته . ذكرت هذا المطلع من شعري

قد آن للبلبل ان يسجعا وآن للوردة ان تسمعا

وقلت : نجوت يابلبل من اسارك . هذا ملك عرضه السماوات والارض . ليس فيه آسر ولا ظالم . رأيتك في الدار الزائلة ، مهيض الجناح ، في قفص . سيان عندك ذهبه وخشبه ، تنشد الحرية ولا تجدها . وتحن الى وردك الباسم ، على غصنك المورق ، في روضك الزاهر ، فترسل في الفضاء آهاتك ، محترقات بزفير وجدك ، كم بكيت فابكيتني ، اذ كنت في نوحك شاعراً ، وفي شعرك نائحاً ، فلله ما تحمله فؤادك الصغير مما تنصدع له القلوب ، هنا يابلبل دار الآمان ، وموضع الرجاء ، ومقر الامل ، ونهاية المسعى وبداية الرجعى ، فغرد ما شئت ، انت ووردك ونعيمك في خلود

قال سميري : الشاعران يتساجلان ، مناي ان أستمع لهما طول

اليوم ، لكنني أرى رجلين مقبلين ، وأخشى ان يكونا زائرين فاحرم من طيب الحديث . قلت ترى من هما ، فنظر وقال : المتقدم هو الكاتب المعروف ، حبيبك وصديق أخيك ، ابراهيم المويلحي ، والمتأخر يحمل على ظهره شيئاً ثقيلاً ، ولو رفع وجهه لعرفته ، نعم نعم عرفته الآن ، هذا الكاتب البليغ احمد سميري ، قلت لا ريب في انهما آتيان الينا

جاء الزوران ، تبادلنا التحية وجلسنا ، قلت ما هذا الصندوق ، قال المويلحي : ألم تعلم بما جاء في « المقتطف » بعد ارتحالي عن الدنيا ، قلت : لم اكن بمصر في ذلك الحين ، قال لقد اجاد رثائي ، ولما انتهى الى وصفي ، قال فيما قاله : (وكان المرحوم قوي الاستنباط لبلوغ المراد) ، قلت كلنا لا ينكر عليك هذا ، فتبسم وقال : ولقد زارني اليوم صديقي احمد سمير ، اذ كان الخدم منصرفين الى شؤونهم ، وكنت انتظر وصول البريد بهذا الصندوق ، لاطلاعك على ما فيه ، فتجاهلت امره حين وصوله ، وقلت ياسمير ، من صدق ظنه منا بما يحتويه الصندوق كان له الامر على صاحبه ، فرضي بما اشترطته وقال : انه يحتوي ثمارا من ثمار الدنيا ، لتقارن بينها وبين ما عندك ، قلت ويحك ، أفي الدنيا من يظننا نفكر في ثمارها ، ولدينا من كل فاكهة زوجان ، ما اظنه يحتوي الا كتباً ، ولعلها عصرية ، وفتحنا الصندوق ، فظهرت الكتب وكلها عصرية ، قال سمير : فما حكمك يا ابراهيم ، قلت ان تحمل هذا الصندوق بما فيه الى قصر ولي الدين ، فما تردد ، وها هو الآن يلهث

تعباً كما ترى ، ولو اطلعته على جلية الامر ، ورجوت منه أن يحمله ، لغيبة الخدم ، لما ارتضى الا ان أقاسمه حمله ، فوقف سمير وقال : ويلي منك يا داهية الدنيا والآخرة ، فضحك جميعنا ، وقلت اجلس ياسمير انك لا تحمله في العودة ، ان الخدم عندي حاضرون ، وسألت المويلحي عن الكتب ، قال هذه مؤلفات عصرية ، انظر ياولي الدين ، انك لا تجد فيها مما ينفع الناس ، أكثر من خمسة أو ستة ، هذا العدد في صندوق يحتوي مئة كتاب ، قعد الكثير عن كتابة ما يفيد ، وانصرفوا الى ما لا يجدي ، صنف بعضهم كتباً سياسية ، قد ينتفع بها من الناس عدد محصور ، وآخرون جعلوا همهم كتابة القصص (الروايات) ، من مترجمة وموضوعة ، بانشاء ركيك ، على اسلوب ردي ، ومعنى مبتذل في لفظ مستنكر ، لا عربي ، ولا عجمي ، والكتب الخلقية نادرة ، لا تزيد على عدد الاصابع ، ياولي الدين ، ان حاجتنا الى الكتب الخلقية لشديدة ، ألم تر الى ما زاد من الفساد ، وما قل من الادب والحياء ، كان الشباب لا يجلسون في مجالس الكهول ، واليوم لا يبالي اكثرهم ان يقعد ويتحدث بكل قول مرذول ، وكم يسمع عابر السبيل مما يؤذي المسامع ويرى مما تضيق له الصدور ، كل هذا والكثير من كتابنا لا يبرزون للناس الا ما يلهو به اهل البطالة : انك تعلم ما عند الترك من المصنفات المسطورة ، لتهذيب البنين والبنات ، ولا تجهل ان أعاظم رجالهم يتطوعون لالقاء الدروس الخلقية في المدارس والمعاهد ، فلا يمر على دار من دور العلم اسبوع بلا درس ، وهذه صحفهم ، لا تدع

من النقائص كبيرة ولا صغيرة تمر بلا نقد صحيح ، قال احمد سمير : كان الطلبة فيما سلف ، يقرأون القرآن ، ويحفظون جزءاً منه ، وفي ذلك ما فيه من تهذيب الانفس بعظاته ، وتثقيف العقول بحكمه ، وتكوين القدرة على الانشاء الجيد ببلاغته وفصاحته ، فما نشأ الكتاب المعدودون الا من بين اولئك الشباب ، ولا شاع ما نشاهد اليوم شيوعه بين كثيرنا من سوء الطباع ، قال سميري : أيها الاخوان ، ان محكمتنا ستحاسب اليوم أحد الكتاب ولقد اقتربت الساعة ، فمن الذاهب ومن الباقي ، ثمنا قنهيأنا للمسير ، وأمرت اثنين من الخدم باعادة الصندوق الى قصر المويلحي ،فمد يده الى كتاب قائلاً :خذ هذا الأثر الأدبي الجديد ، فانه نافع ، قلت وما هو ، قال احمد (تذكرة الكاتب) ، وانه لصديقك الشاعر المعروف أسعد افندي داغر ، أشار فيه الى مواطن الخطأ والصواب ، فما يكتبه أكثر الكتاب ، فأمرت أحد الخدم بحفظه الى ان أعود

مشينا ، بلغنا المحكمة دخلناها ، قابلنا المكان فسلمنا وسلما ، ثم انصرفنا بجثة عليها درج مصفر اللون ، قال المويلحي : أدرج المسكين في « ملاءة » فرشه ، هذا نصيب الكاتب يا شرق ، يا أبا العجائب ، قلت : وما هذه البقع الحمر الزرق ، على وجهه وفوق أصابعه قال منكر : غسلوه بالماء ،فلم يجدوا صابوناً ولا ما يشترى به الصابون ، فبقي المداد كما ترى ، وبعد فهذا العبد له عندي سؤالان لا ثالث لهما ، وانه سيبعث الآن للجواب والجزاء

ردت روح الكاتب اليه ففتح عينيه ، قال منكر : أين أنت يا عبد الله ، قال لعلي في مطعم ، قال منكر : أترى أمامك مائدة ؟ قال الكاتب : مثلي لا يأكل على مائدة أحسبتني (بيرلوتي) الكاتب الفرنسي ، اني أذهب الى ثلاثة من منازل السراة ، فيطعمني الخدم ما يفيض من طعامهم ، في مثل هذا المكان الانيق . قال منكر : وقد اغرورقت عيناه ، أنت يا هذا في قبرك ، قال الحمد لله على هذه الخاتمة ، فماذا تريد ايها الملك الكريم ، قال منكر : أعرفتني قال الكاتب : وهل يخفى القمر ، قال منكر : خبرني لماذا لم تترك أثراً نافعاً ، قال : ياسيدي كم تقدمني من خلفوا أنفع الآثار ، وليس في الشرق من يعبأ بها الا القليل ، وكيف يستطيع أن ينفع من لا يجد قوت يومه ، أنا والله جوعان . ضحكنا وبكينا . قال منكر : هذه تجاوزنا عنها . فخبرني عن الثانية . قال الرجل وما هي . قال منكر : لماذا لم تتخذ لك صناعة أخرى . وصفعه قبل أن يجاوب صفعة شديدة . وقال خذوا زميلكم معكم . ان الله لا كرم من أن يعذب أمثاله . وانه بعباده للطيف

ولي الدين يكن

— ١٢ —

المرابي

الى أخي يوسف حمدي يكن

حدثني سميري ، قال : ان من عجائب المصادفات ، ما وقع لي قبل ارتحالي الى هذه الدار بعشر من السنين وما زلت اذكره ، خرجت يوماً من داري ، فمشيت في طرق مزدحمة بالسالكين ، حتى اذا اعياني المسير جلست في احدى « القهوات » وطلبت من خادمها أن يجيئني بقهوة خفيفة البن ، فلما ذهب ، اقبل شاب حسن البزة ، ناحل الجسد ، عليه دلائل سهد طويل ، وغم شديد ، يصاحبه كهل ، قوي البدن باسم الوجه ، اختار الفتى مكاناً على مقربة مني ، فجلس ، واجلس الكهل عن يمينه ، قلت في نفسي : ضدان متقابلان ، وجه باش وآخر أربد ، ليتهما يتخاطبان ، فأعلم بالقليل من أمرهما ، وجاء الخادم بالقهوة فوضعها أمامي ، ووقف أمام القادمين يسألهما عما يريدانه ، طلب الفتى قهوة ، وطلب الكهل قدحاً من عصير الليمون ، ولما مر بي الخادم استوقفته وقلت له : أتعرف هذين ، قال ان الفتى من ابناء السراة والكهل من الوسطاء في مسائل البيع والشراء والاقتراض ، ثم مضى الخادم الى سبيله ، وكان الفتى يطالع احدى الصحف ، فلما رجع الخادم بالمطلوب ، التفت الفتى الى صاحبه قائلاً : أتعلم اني لم أنم في ليلتي ،

قال السكهل هون عليك ياسيدي ، ان بعد العسر يسراً ، قال الفتى ، الم تر كيف اعرض الرجل عنا بالامس ، اذ ادرك انا نريد رهناً ثانياً ، أين ذلك الاجلال الذي لقينا به في المرة الاولى ، ألم يكفه ما أضافه الى المال المقترض من الربا الجسيم ، قال الوسيط لا تأسف ياسيدي ، فكل اناء بالذي فيه ينضح ، انه ما أراد بذلك الاعظام والاكرام ، الا ان يتصيدك ، ولو كان ذهابك بالامس لاداء ما عليك ، لما رأيت منه الا ما يطابق لسانك بالثناء عليه ، لكنه علم مني انك قادم لتقترض مرة ثانية ، فقابلك بما رأيت ، وتصنع المرض ، وادعى الغضب ، على تابعه ، وزعم ان ليس في خزانته سوى ما لاغنى له عنه ، كل هذا لتقبل ما سيطلب اضافته الى الاصل من الربا المضاعف ، والذي أعلمه ان الرجل وافر المال ، وليس في البلد من يرضى ان يقرضك على رهن يأتي بعد رهنه ، فلا مناص من قبول ما سيطلبه اليوم ، لا تبال بهذا الشذوذ الخلقي ، اتمم عملك انك سوف تخجله حين توفق لرد ماله اليه وما كل المرابين بهذه الطباع ، لكنك أردت السرعة في بداية الامر ، وهذه نتيجتها

قنع الفتى بكلام الوسيط ، وقال صدقت ايها العزيز ، فبكم تقدر ما يريده من الربا . قال الوسيط ألم يأخذ في المرة الاولى خمسة وعشرين ديناراً على كل مائة من الدنانير ، وقد اضاف الى الاصل ما زاد عن التسعة في المائة ، لكيلا يحكم القاضي ببطلان الرهن ، قال الفتى اجل ، قال الوسيط ، فما أظنه في هذه المرة يرضى بما يقل عن خمسة وثلاثين

على كل مائة قال الفتى وقد اصفر وجهه ، اليس هذا كثيراً ، قال الوسيط : لا اخالفك في رأيك ، ولكن ما العمل ، انت مضطر ، والرجل طامع ، وما انا الا ناصح ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، تنهد الفتى ، وقال : لله الامر ، وقام يصحبه الوسيط

هذا ياولي الدين ما رأيته وما سمعته ، وانه لما يذيب القلوب أسى وحسرة ، احل الله البيع ، وحرم الربا ، لانه مسقط المروءة ، باعث الطمع ، مذل الانفس ، محيي البغضاء ، مميت الثقة ، كان اسلافنا اذا استدان احدهم من احد جيرانه مالاً ، ترفع دائنه عن اخذ رهن او سند ، اذ كانوا لا يستدينون الا لضرورة قاهرة ، ولاينفقون درهماً فيما حرمه الله ، ونحن الآن في زمان كثر فيه المبذرون ، ممن لم يقنعوا بما قسم الله لهم ، اولئك هم الذين اوجدوا اهل الطمع من فريق المرابين ، فأضروا بأنفسهم وهم لا يشعرون

اليوم تنتظر المحكمة احد المرابين والآن ، يحسب منكر مقدار ما جمعه الرجل من المال الحرام ويهيىء نكير ما اعد الآثم من معدات العذاب الاليم ، والساعة دانية ، فسر معي قبل ان يفاجئنا احد الزائرين

سرت وصاحبي مسرعين ، دخلنا المحكمة فاذا رجل كالسلحفاة رأس صغير ، وقدمان ، بينهما ظهر مقوس وبطن واسع ، ورأينا الملكين واقفين عند رأسه ، فسلمنا وسلما ، ثم قال منكر : ان غرماء الرجل وضحايا قسوته ، هم الآن في الدرك الاسفل من الجحيم ، جزاء ما اخذوه من حرام وما انفقوه في معصية الله ، فليس هنا منهم من

احد يشتفي صدره بما يراه من عقابه سواء كما لقد ارسلت الى كثير من اهل الجنة ليحضروا ، فأبوا ان ينظروا هـذا الوجه الاغبر ، اما انتما فأمركما معلوم ، صف يا ولي الدين لاخيك ماسيحل بالرجل من غضب الله ، وذكر العاصين عسى ان تنفعهم الذكرى

عادت الروح الى المرابي ، ففتح فاه وعينيه ثم حاول الجلوس ، فلم يستطع أمن شأن القنابل الا الدحرجة ، رفسه منكر قائلاً : افق يا عبد الله ، وقل اين انت فارتعد وقال : لعل اللصوص جاؤا بي الى هنا ، قال منكر : ان اللصوص لن تصل ايديهم الى ما وصلت اليه يداك ، انت ايها الاثيم في قبرك المظلم الموحش ، بعد قصرك النير الآهل فارقت دنياك وخزائنك الملأى بالذهب ، ووقفت موقف المجرمين في محكمة اعدل العادلين ، انا منكر ملك الحساب ، وهذا نكير ملك العذاب . زادت رعدة الرجل واخرسه الخوف الشديد . قال منكر : أما حرم الله الربا ، قال الرجل : اجل ياسيدي : قال منكر : فلنبق جزاء هذا الى الآخر . والآن قل : الم تخرب البيوت بما كنت تأخذه من الربا الجسيم بضرب من المكر السيء ، قال ان ما اخذته من المقترضين لا يساوي ما انفقوه على خمرهم وميسرهم ، قال منكر اظننت هذا مبرراً ما عملت ، يا نكير لا ترحم هذا الوحش الضاري . اجلده بخمسمائة من اشد جلداتك واياك والغلط في الحساب ، رفع نكير سوط عذابه وانزله على الرجل فصرخ الى ان خرس ، واتمها نكير خمس مئات من اشد ما رأينا . قال منكر : الم تذهب مع احد المقترضين الى المحكمة

ثم اعطيت نصف المتفق عليه . وزعمت ان النصف الباقي سيأتي به وكيلك . وطلبت الى المسكين امضاء العقد ، مقراً فيه بأخذ المبلغ كاملاً الى ان يصل الوكيل ، فأطاع الابله ، ولم يصل الوكيل ، ولما ذهب معك الى مقر خزانتك طردته وضربته ، قال المرابي . رحماك ياسيدي قال منكر . خمس مئات كسابقتها ، فلما أتمها نكير ضرباً وعدداً ، قال منكر . بقي الآن جزاء الاثم العظيم ، وهو ما ابقيناه الى النهاية ، وان عقابه لأشد هولاً وانكى ، يانكير اسلمه الى الزبانية ، وقل لهم الى سقر وبئس المقر

ولي الدين يكن

— ١٣ —

الموظف الكبير

الى أخي يوسف حمدي يكن

جاءني رسول من صديقي القديم ، أديب عصره ، سليم رحمي ، وأسلم الي ورقة ، يدعوني فيها الى زيارته ، ويقول ان استاذنا الفاضل حسن حسني الطويراني هو ضيفي في هذا اليوم ، قلت لسميري : أأنت مصاحبي ، أم لك شأن غير شأني ، قال : ان واجبي الآن ان أذهب لاجيء بخبر من المحكمة ، ولو لا هذا ، لما فارقتك اني لفي شوق الى لقاء الاستاذ الطويراني ، ولي حاجة عنده ، فقلت ما هي ، قال قصيدة

ليست في ديوانه (ثمرات الحياة) ، قالها قبل ارتحاله الى جوار ربه باعوام قلائل ، لا يحضرني منها سوى قوله : —

الحي ميت ، وموجود الثرى عدمٌ
والناس هلكى ، وان سرتهم النعم
وما التراب الذي نسعى عليه سوى
قوم مضوا قبلنا ، من قبلهم أمم
وفي المقابر للرائين معتبر
وفي تقلب احوال الورى حكم
وفي مشاهد هاتيك الشواهد ما
يغني اللبيب ولكن قل من فهموا

قلت : ما اظنك فائزاً بها ان لقيته ، انه ينسى ما ينظمه بعد أيام معدودات ، ذلك لانه لا يجهد فكره فيما يقول ، ولا يتصيد المحسنات ، وانما ينطق بما يجريه خاطره على لسانه ، فاذا تمت القصيدة أنشدها في مجلس من الادباء مرة ، ثم بعث بها الى أحد الصحف ونسيها ، ولم ينشر من شعره في صحفه (النيل) و (الانسان) و (الشمس) الا نادراً ، وكان لهذه القصيدة نظيرة في ديوانه الثاني (صولة قلم في دولة الحكم) ولكن هذا الديوان ذهب فيما اكلته النار من الكتب النفيسة ، التي كانت في خزانة صديقه ساكن الفردوس محمد شاكر ، وهو في ضخامة ديوانه (ثمرات الحياة) ، والآن استودعك الله ، وستجدني في جنة صديقي سليم رحمي

سرت ، يتبعني رسول الصديق ، الى ان بلغت جنته ، ودخلت قصره ، فلما بصرت به ومعه الاستاذ الطويراني قاما مرحبين ، وبعد التحية والجلوس ، قال الاستاذ : ان أشقى العباد في الدنيا هم الشعراء والكتاب والادباء ، ولقد عوضهم الله خيراً في هذه الدار الخالدة ، لم يذق سليم مرارة الفلاكة ، اذ كان في سعة من العيش ، وانك ياولي الدين لتعلم انه أنفق شطراً عظيماً من ماله الوافر على من مسهم الضر ، لكنه لم يجد ممن يقدرون فضل العاملين الا قليلاً ، ولم يذكره بعد موته سوى خلصائه ، ما أظنك نسيت ان أديباً من صحابه أخذ أوراقه بعد وفاته من زوجه ، ليجمع أشعاره ويطبعها ، فلم يردها ، بل انكر أخذه اياها ، واكثرها شعر الصديق لم ينشر ، ولم يحاسبه الملكان الا على قوله

طرقت باب دارنا فرأتني
بين قومي والالف للالف يصبو
ثم صدت مخافة ان يقولوا
تلك معشوقة وهذا محب

وكم من غرام لا اثم فيه ، لذا غفر الله للصديق ، وجزاه على بره خير الجزاء ، فانزله من جنته منزلة الابرار ، فهو بينهم دائم الذكر ، خالد الفضل ، الحمد لله ، وليس هنا من شانىء ولا حسود ، ولا صاحب مخاتل ، تركنا سوآت الدنيا الدنيا ، ورجعنا الى ربنا بيض الوجوه ، فنحن في عيشة راضية ، في جنات عالية ، قال سليم : هذا من فضل ربي ، وما انا بآسف على ما مضى ، والآن ، تل ياولي

الدين: ماذا تكتب الى اخيك ، قلت اكتب اخبار محكمتنا، ومايدور من الحديث بيني وبين من القاهم من اهل الفضل ، احياء لذكرهم بين ادباء المصر في الدار الاولى ،قال ألا رضي الله عن صنعك في الدارين، واين سميرك ، قلت ذهب ليأتي بالخبر ، قال : اني علمت قبل مجيئك بقليل ان المحكمة ستحاسب اليوم كبيراً من الموظفين

في هذه اللحظة ، سمعنا ضجيجاً عالياً حول القصر ، أطللنا من النوافذ ، فاذا أناس يخطفهم العدد ، رأيت بينهم سميري ، قلت ما الخبر ، قال اسرعوا الى المحكمة ، ألم يبلغكم من أحد ، قلت بل علمنا قبل ان تخبرنا ، ولكن من هؤلاء ، قال : بعضهم من كبار الموظفين ،الذين عملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، ففازوا برضوان من ربهم ،ونعيم مقيم ، والآخرون ، هم الصغار المرؤوسون ،الذين صبروا على ما اصابهم من ضيم وغرم ، فكان جزاؤهم المقام الارفع ، والله ولي الصابرين ، والجميع كما ترى سائرون الى دار العدل ، لينظروا ما سيكون ،فاسرع ايها العزيز ، انت وصاحبك

خرجنا نحن الثلاثة ، فالتقينا بسميري ،وتبعنا القوم ،وقد سرني ان زال عرج الاستاذ الطويراني ، فقد كان اذا مشي خط على الثرى بقدميه رقم ١٢ في كل خطوة ، وذكرت انه فاجأني يوماً وانا امشي مشيته امام نفر من الاخوان ، فعاودني خجلي الشديد ، وبعد مسير قليل ، وقفنا امام كهف لم أر أوسع منه ، دخلناه أفواجاً ،وذايد قبضت على يميني ، هذا صديقي منكر ، وبجانبه العزيز نكير ، تبادلنا التحية ،

قال منكر : تأخرت ياولي الدين الى وقت الزحام ، فسر معي ، وليتبعنا صاحباك ، ان لكم عندي مكاناً مصوناً ، تنظر منه كل شيء فتكتب ما تشاء ، وما زال يخترق الصفوف ، الى ان بلغ بنا رابية عالية ، بجانب الجثة ، ثم وقف منكر عند رأس الميت ، واشار الى الجميع بالسكوت ، فلم نسمع ولا الانفاس ، هنالك خطب منكر فقال :

عباد الله ، ان من الناس من غرتهم المناصب الرفيعة ، عمي المغرور وضل الجاهل ، للحياة بداية ونهاية ، فهل يفنى العمر ويبقى المنصب ، والله ما خلق الله الكائنات عبثاً ، ولا أمر عباده باطلا ، ولا وعدهم مطلا ، ولا أوعدهم كذباً ، ولا امهلهم عجزاً ، الله خالق السموات والارض ، يأمر بالصالحات ، وينهى عن المنكر والفساد ، فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها ، هذا العبد المجرم ، أعلى الله مكانته في دنياه ووهبه حكماً نافذاً ، وامراً مطاعاً ، ليكون رحمة على الضعفاء ممن هم دونه ، فكان عليهم نقمة ، أولى سيئاته انه كان متعاظماً على مرؤوسيه فلا يرد التحية بمثلها ، ولا يتكلم الا عابساً ، ولا يمهل مخاطبه الى ان يتم قوله ، الثانية . انه كان لا يقدّر عمل العامل ، سيان عنده من احسن ومن اساء ، الثالثة : انه كان يخشى على نفسه من ذوي القدرة والكفاية ، فلا يكلفهم عملاً ، خشية ان تظهر قدرتهم ، فكان يزعم ان ليس لهم من عمل لديه ، الرابعة : انه كان ينتحل لنفسه اعمالا مرؤوسية ، ستراً لجهله ، فيعمل لمحو اسم المرؤوس ويضع اسمه ، الخامسة ، انه كان لا يساعد الا بني جنسه ، ويدس الدسائس لمن ليسوا منهم ، السادسة

انه كان يقول فيكذب ، ويعد فيخلف ، وكلاهما من علامات المنافقين ، السابعة : انه كان مناعاً للخير ، اذا عرف ان أحد مرؤوسيه سيرقى بانتقاله من مكان الى آخر عرقل مسعاه . لا ينفع ولا يود أن ينفع مرؤوسه من سواه ، الثامنة : أنه كان على جهله مستبداً برأيه ، لا يقر لاحد بالاصابة ، ولا يعجبه الا ما يراه ، التاسعة : انه كان يختلس ، العاشرة انه كان يرتشي انظروا الى مستودع الرذائل ومنبع الآثام ، انه بدأ يتحرك : عادت الروح الخبيثة الى الجسد المقبوت

نظرنا الى الرجل ، فاذا رأس كرأس الثور ووجه أغبر ، وعينان جاحظتان ، ليس في سحنته علامة من علامات الخير ، صرخ منكر بصوت كالهدم قائلاً : ياشر الخلائق ، وعار الأزل ، وخيبة الأمل ، وغضب الجبار ، وحطب النار ، هذا الجمع ، فيه من كانوا في مثل منصبك ، بل ارفع مقاماً ، وأعظم جاهاً ، وفيه من كانوا في درجة مرؤوسيك المظلومين ، ارسلهم الله من دار النعيم ، ليكونوا خزياً لك في موقف حسابك وعقابك ، ولقد تلوت عليهم صحيفتك الغبراء ، وما اظنك ناسياً ولا واحدة من سيئاتك ، ثم التفت منكر الى الحاضرين فقال : ياعباد الله ، انكم آلاف آلاف ، وليس فيكم الا من هو لاعن هذا المجرم ، فاعلموا ان لا جزاء له قبل ذهابه الى قرار الجحيم ، الا ان يرجم كابليس اللعين ، فارجموه بما تحت ارجلكم من الاحجار ، تطايرت الاحجار من كل جانب ، حتى رأينا فوق الرجل « هرماً » عظيماً ، ونادى منكر : يا ارض ميدي به الى جهنم في أسفل سافلين

ولي الدين يكن

— ١٤ —

الموظف الصغير

الى أخي يوسف حمدي يكن

حدثني سميري ، قال : لما كنا في الدار الاولى ، خرجت يوماً لأزورك ، فلقيت رجلا ناحل الجسد ، مصفر الوجه ، يحرك شفتيه ، ويشير بيديه اشارات مختلفة ، وعلى خديه أثر الدموع ، قلت ترى ماخطب الرجل ؟ لابد أن أتبعه ، عساي أقف على جلية أمره ، ولعلي أوفق لتخفيف بلواه ، جد الرجل في المسير ، وأوسعت خطاي ، فما زلنا نمشي ونعطف ، الى أن بلغنا ربعاً قديماً كثير السكان ، وكنت أعرف أحد ساكنيه ، فلما دخل الرجل ، تبعته ، فرأيته يطرق أحد الابواب ، هذه مصادفة محمودة ، الباب الذي يليه هو لمن أعرفه ، وقفت أمامه وطرقته ، ففتح ، وبدا صاحب الدار ، أدهشه قدومي ، لاني لم أكن من زواره ، ولا من صحابه ، أنا شاعر ، وهو اسكاف ، يجيد البناء ، قلت السلام عليك ، قال وعليك ياسيدي السلام ، تفضل بالدخول ، اني لسعيد بهذه الزورة ، قلت لا تطل الكلام ، اني جئتك مستفهماً عن شيء ، قل لي من يكون جارك ، قال الاسكاف : انه موظف في الحكومة ، لم أر منه ولم أسمع عنه سيئة ، ولا أعلم من أمره سوى ان له زوجة وأربعة من البنين ، قلت اني لا أريد به

سوءاً ، لكنني رأيته كئيباً ، وقد رغبت نفسي في استطلاع خبره ، ومعونته بقدر المستطاع ، فهل أجد عندك مكاناً أسمع منه حديث الرجل ، قال الاسكاف : هذه الغرفة لها نافذة عالية ، تشرف على داره ، فادخلها ، دخلتها ، واعتليت كرسياً ، ثم أشرت الى الاسكاف بتركي وحدي

نظرت من شق في الستار ، رأيت الموظف مرتدياً ثوبه المنزلي وقد جلس على مقعد من الخشب ، يده على خده ، أمامه سيدة ، بين يديها أوراق تنظر اليها صامتة . وفي ناحية من المكان أربعة أطفال ، أكبرهم في العاشرة من سنه ، يتهامسون ، ماذا يقولون ، مددت سمعي ، قال أحدهم : ان أبي سيشتري لي كساء ، قال الآخر : وسيشتري لي حذاء ، ، قال الثالث : أما نحن الاثنان ، فقد وعد كلينا بلعبة ، هنا تنهدت السيدة تنهداً طويلاً ، وقالت للصبية : قوموا فادخلوا غرفتكم ، فامتثلوا ، بكت السيدة بكاء مراً وقالت : الهي ، انك تعلم ما نخفي وما نعلن ، هذا اليوم أول الشهر ، فريق ضاحك ، وآخر ينتحب ، ألا ويل الشجي من الخلي ، يسمع البائس غناء الموسر ، وذلك لا يصغى الى أنينه ، هذه الاوراق مرتب زوجي ، ثمانية دنانير ، تنفق على ست من الانفس ، المدرسة تطلب (قسطاً) من أجر التعليم . ولا بد لمحمد من كساء ، ولاحمد من حذاء ، وصاحب الدار لا يمهل ، والخباز لا يصبر ، والبدال لا يعذر ، شكا زوجي فقره الى المدرسة ، والتمس اعفاءه من نفقة التعليم ، فلم يرقوا له ولم

يصدقوه ، قالوا انك موظف ، لك مرتب يكفيك ، عجباً لهم ، كيف يعلّمون أولادنا الحساب ، ما أشد حيرتنا ، من نعطيه ومن نمنعه ، والى من نشكو ما نعانيه ، اللهم رحماك ، لا بجير لنا سواك ، قال زوجها : رفقاً بنفسك أيتها العزيزة ، ان بعد العسر يسراً ، لقد هداني الله الى مخرج من هذا الضنك ، قالت وما هو ، قال اننا في بداية الصيف ، بيننا وبين الشتاء شهور طوال ، سآخذ ثوبي الشتائي ومعطفي فأبيعهما ، هذا خير من ذل التوسل الى ذوي المطالب ، وفيه أمان من الوقوع في عار المطال ، قالت وهي تغالب عبراتها

اذا لم يكن غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطر الا ركوبها

ذهب الزوج الى غرفته ، ليجيء بما يريد بيعه ، ففارقت مكاني وفي صدري ما نويت ان اعمله ، ناديت الاسكاف ، فشكرته وصافحته وانصرفت ، ولما بلغت باب الربع ، خرج الموظف ، فأمهلته الى أن توسط الطريق ، ولحقت به ، فاستوقفته ، قال ماذا تريد يا سيدي ، قلت أود أن اسألك عن شيء ، وآمل ان لا يسوءك سؤالي ، قال تفضل بما تشاء ، فاسررت له قولي : أهذه الثياب للبيع ، قال نعم ، وكشف غطاءها ، قلت بكم تريد بيعها ، قال بثلاثة دنانير ، قلت أتمازحني يا هذا ، أمثل هذه الثياب الجيدة يباع بهذا المقدار ، قال فبكم تريد شراءها ، قلت بخمسة دنانير ، معي منها اربعة ، خذها واعطني الثياب وانتظر هنا قليلا لأعود اليك بالدينار ، قال لك ما طلبت ، وسأنتظرك في هذه القهوة ، فانقدته الدنانير الاربعة ، وأسلمني الثوب والمعطف ،

وبعد دقائق ، بلغت داره وطرقت الباب ، فخرج أكبر أبنائه ، قلت خذ يا بني هذه الملابس ، ان أباك ارسلها معي ، وهو يقول انه عدل عما نواه اذ عوضه الله خيراً ، فاخبر والدتك بما سمعت ، دخل الولد ، وأسرعت راجعاً الى الموظف ، فاسلمته الدينار شاكراً حسن ظنه ، وفارقته فرحاً بما وفقني الله له من اغاثة اسرة . لم يستطع الاملاق أن يذهب بعزتها

لم ارد بهذا الحديث ياولي الدين ان اعلن لك خيراً عملته ، انك تعلم ما بنفسي ، ولكن قيل لي اليوم : ان المحكمة ستحاسب موظفاً صغيراً ، أفي هذه الطائفة من يحاسبون ويعاقبون ، قلت ياصاحبي : ان الله لا يظلم احداً من عباده ، فلا تكن من الخاطئين ، قال صدقت ، اني استغفر ربي ، واعوذ به ان اكون به من الجاهلين ، والآن دنت الساعة ، فقم معي لنرى هذا المشهد العجيب

مشينا مسرعين الى المحكمة ، دخلناها ، نظرنا جسداً كالعصا ، لولا رأسه لما عرفنا انه انسان ، يستره درج واحد ، اخفى عليه الزمان ، لم نجد من حاضر سوى الملكين ، فلما تبادلنا التحية ، قلت اين الميت ، قال منكر : هذا ، واشار الى الجثه ، قلت : لقد ظننته ميتاً له مئة عام ، قال منكر : هذا العبد ياولي الدين من طائفة مظلومة بين اهل الدنيا ، لكن له سيئات يجب ان يسأل عنها ، اولاها ، انه كان يكذب على ذويه وجيرانه ، زاعماً ان له في الحكومة شأناً عظيما ، وانه لولاه لعطلت اعمال (المصلحة) ، ثانيتها انه كان يتأخر عن موعد الحضور ، حتى

اقتدى به البعض ، فكانت العاقبة ، ان جوزيت الكثرة بذنب القلة اذ اساءت الحكومة ظنها بالجميع ، فانشأت دفاتر بقيد الاسماء عند الحضور ، ثالثتها ، انه كان لا ينجز اعماله في حينها ، تتراكم الاوراق امامه ، فيقال عنه انه كثير الاعمال ، وفي ذلك مافيه من الاضرار بالناس ورابعها ، انه كان يتملق رؤساءه آملا ان ينال بذلك فوق ما يستحق خامسها ، انه كان لا يعرف لغة حكومته ، وهي (العربية) خير اللغات وافصحها ، ومما كتبه في حياته : (ايماءلما ورد من مصلحه . . بمكاتبتها المؤرخة في . . . نمرة . . . قد صار رفت استحقاق فلان الجنايني بسبب انتقاله الى رحمة مولاه في المدة من . . . الى . . . ولم كانت المصلحة الموحى اليها تخطر ذلك طرف الا في يوم تاريخه) ، وانه سيبعث الآن للسؤال والجزاء

فتح الميت عينيه ، نظر الى المكان نظرة الفاحص ، ثم رأى الملكين ، هاله مرآهما ، قال بالله ربكما قولا ، أين أنا ، قال منكر : ياعبد الله ، هذا قبرك ، ونحن ملكا ربك ، جئنا لسؤالك وجزائك ، قال الحمد الله على فضله ، أين الجنة ، وأين جهنم ، خذاني الى احداهما ، ان نظى الجحيم لا هون عندي مما كنت فيه ، قال منكر : وقد غلبه الاشفاق ، يابني ، لا يكون الجزاء الا بعد الحساب ، فقل ، ألم تكذب على أهلك وجيرتك زاعماً ان لك في الحكومة شأناً عظيماً ، قال الموظف : ليس في الدنيا من يود ان يكون حقيراً بين أهله وعشيرته ، ولقد كان لي جار سيء لا يخشى الا ذوي الشأن من رجال الحكومة ، فبماذا كنت أتقي شر

أمثاله ، قال منكر : هذه تجاوزنا عنها ، وما قولك في تأخرك عن موعد الحضور الى عملك ، قال : ان بيتي في اقصى المدينة ، واجرة « الترام » تبلغ ربع ما آخذه في الشهر ، وكم شكوت فلم أجد لي من يسمع ، قال منكر : وهذه عذرناك فيها ، فما عذرك في اهمالك الاعمال ، لتتراكم ويظن فيك انك وافر العمل ، قال : لم أقصد ذلك ، بل كان لي رئيس يلذ له : أن يتوسل اليه الناس لانجاز اعمالهم ، وان يأمرني امامهم . اكباراً لشأنه . قال منكر وانت تطاوعه . تباً لك ، وتفل عليه ، ثم قال . وما دفاعك عن تملقك لرؤسائك قال . لم اتملق لاحد منهم . اذ كان يحب ذلك وما اردت الا ان يكف عني اذاه . قال منكر وهذه تركناها . فما تستطيع ان تقول في جهلك أفضل اللغات . وهي العربية لغة بلدك وقومك . اني اسمعت هذين الاديبين بعض ما كتبته في دنياك . ولم ينتظر الملك جواب المسكين . بل فاجأه بلطمة خفيفة اكفأته ، وقال رب انك تعلم بما اصاب عبدك في دنياه من ظلم وذل وتعلم ما تكنه القلوب فامنن عليه برحمتك . ياواسع المغفرة . فأقبل ملكان سقاه احدهما كوثراً . فبل اوامه وهدأ روعه وحملاه الى دار النعيم

ولي الدين يكن

— ١٥ —

المهندس

الى أخي يوسف حمدي يكن

جاءني كتاب من القاضي العادل ، العالم النحوي ، استاذ الشعراء صديقي حفني ناصف ، قرأت الكتاب ، وأخبرت سميري ان الصديق العظيم يأمرني بانتظاره ، قال سميري : هذا ياولي الدين ممن خسرتهم الدنيا ، وربحتهم الآخرة ، يعجبني في شعره انسجامه . ويلذ لي ما في اكثره من فكاهة . ذكرت بالامس هذا الصديق ، وأنشدت ما أحفظه من قصيدة له ، في وصف مدينة قنا ، وأيامه فيها ، قلت لسميري : اسمعني الأبيات ، فأنشد :

ها قد امنت البرد والير داء والقلب اطمأنا
ووقيت أمراض الرطو بة واستراق الريح وهنا
وأنام غير مدثر شيئاً اذا ما الليل جنا
قد خفّت النفقات اذ لا اشتري صوفاً وقطنا
وفرت من ثمن الوقو د النصف أو نصفاً وعنا
فاذا بدت لي حاجة في الغسل القي الماء سخنا
أو رمت طبخاً أو علا ج الخبز ألقى الجو فرنا

قلت هذا جيد ، وأجود منه ما أذكره من قطعة له ، جعل عنوانها (مرآة القلب) وهذا ما يحضرني :

يروقني في طبعها أنها صريحة تظهر ما تبطنُ
مرآة ما في قلبها وجهها فكل شيء عندها معلنُ
صورتها تنطق ان الذي صورها في صنعه متقنُ

أقبل علينا الزائر الكريم ، قال السلام عليكما ، قلنا وعليك السلام ، جلسنا ، رأى بين يدي كتاباً ، قال ما هذا ، قلت انه من خير الكتب العصرية ، أهداه الي أخي حمدي ، ألفه العالمان الجليلان ، الشيخ مصطفى عناني ، والشيخ احمد الاسكندري وسمياه «الوسيط» وهو مختصر جم الفوائد في الادب العربي وتاريخه من عصر الجاهلية الى زماننا ، يغني الطالب عن كتب كثيرة ، ويعينه حين يروم التوسع في اسفار الاولين ، طالعت في خاتمته ترجمتك ، ومختارات من شعرك ، وكنت وسميري قبل مجيئك نتناشد ما نحفظه من كلامك ، مما رأيت به ، « الوسيط » ، تبسم الصديق وقال : رضي الله عن الاستاذين وعنكما وجزاكم عني خيراً ، وددت ان أقول كلمة في « الوسيط » ، لكنني ابقيتها في صدري ، خشية ان تقول : حكم القاضي بعد ان ارتشى ، قلت حاشا ان أقول ذلك ، ولقد أثنيت عليه من قبلك ولم يكن لي فيه من ذكر ، قال ولكنني ممن أتى بذكرهم ، ولو في آخر الزمان ، ولم أقرأ من الكتاب سوى اسمه ، قلت ألم تر فيه معنى من اسمى معاني التواضع ، اراده الاستاذان حفظهما الله ، قال لله درك ياولي الدين ، هذا والله ما ابقيته في صدري ، كم من مصنف بهرني عنوانه ، ولما قلبت صحائفه لم أجد ما يجوز للاديب ان يطالعه ، وفي

الناس كثيرون يحسبون ان في الاسماء الضخمة ما يرفع من مراتب الكتب، اتدري أن في الكتب القديمة مالا أملّ مطالعته ، لما فيه من ادب غزير، ولا أطيق ذكر اسمه ، لما تضمنه من معنى الزهو ، والفخار ، (كالعقد الفريد) مثلاً، فاذا كان هذا ما يلاحظه أمثالي في الاسفار القديمة النافعة ، فماذا يقولون في مؤلفاتنا العصرية . واكثرها اسماء يراد منها الرواج او العُجب ، لذا اتمنى ان يقتدي مؤلفو العصر بالاستاذين الجليلين صاحبي « الوسيط » ان كان مرادهما ما فهمناه ، قلت رضي الله عنك ايها الصديق ، احسبت ان عندنا كثيرين من امثالها لقد بارك الله في كتاب القصص (الروايات)، اما خداء الادب فلا يزيدون عن عدد الاصابع ، وبعد ، الا تريد مصاحبتنا اليوم الى المحكمة ، قال من المسوق اليها ، قال سميري : علمت من الملكين في هذا الصباح انهما ينتظرون ان احد المهندسين، قال زائري: أتعلم ياولي الدين من هو الطف الناس وانفعهم، قلت من ياسيدي، قال انه المهندس وهل تدري من أرذل الناس واضرهم ، قلت من يامولاي، قال انه المهندس، أظن ان العلوم الرياضية لا تصلح لجميع الرؤوس ، لذا كان في هذه الطائفة العظيمة افراد لا يخاطبون ولا يعاشرون ، ولا ينال منهم سوى الاذى، ومنهم من يذهبون ضحايا تلك العلوم ، حدثني صديق مجاب الاقطار المعمورة ، وكان دأبه ان يزور سجون المجانين ، قال رأيت رجالا مشغولين بحل بعض المعضلات الرياضية ، يسألون عنها الزائرين بتلهف شديد ، فاذا أجابهم ذو علم ، ارتابوا في اصابته ،

وتركوه وولوا هاربين ، قال سميري : آن أوان الذهاب الى دار العدل ، فقوما ياصاحبي ، ولنتحدث ان شئتما في الطريق ، الى ان نبلغ المكان

قمنا ، مشينا ، دخلنا المحكمة ، فاذا جسد ممدود ، له وجه كالزاوية القائمة ، وأنف كهرم مائل ، ثم نظرنا الملكين في ناحية ، يتحدثان ويبتسمان ، فلما تبادلنا التحية ، قال منكر : هذا العبد المذنب ، من طائفة عليها مدار العمران لكن امثاله وهم قليلون بحمد الله ، لم يكونوا الا معاول هدم وتخريب ، كان هذا الرجل يضن على فقراء الفلاحين بما يكفي لري مزارعهم من الماء ، اذا لم يفرغوا ما بأكفهم في كفيه ، ولا يجود الا على أهل الجود من ذوي الاراضي الواسعة ، وكان اذا طلب أحدهم ايجاد (فتحة) لري أرضه ، ولم ينقده المقدار المفروض ، أوجد له من العراقيل مالا يستطيع عليه صبراً ، فلا يسع المسكين الا ان يستدين ، ليملأ بطن هذا الجشع ذهباً ، وكان عبداً لذوي المال يقف امامهم خاضعاً ذليلا ، فلا يجلس الا اذا أمروا ، أما الضعفاء فكانوا لا يصلون الى مخاطبته الا بعد التوسل والرجاء ، وكان اذا أمرته حكومته بالاشراف على بناء يخصها ، كبناء قنطرة ، فلا بد من اتفاقه على أجر يأخذه من (المقاول) ولا يبالي بعد ذلك بما ينجم عن اغضائه من اسوأ العواقب ، ها هو سيبعث الآن للحساب والجزاء

نظر المهندس الى المكان نظرة الحائر ، ولما رأى الملكين

أغمض عينيه كما كان ، قال منكر : يا عبد الله ، لا تحسبنا من ذوي الحاجات ، أنت في قبرك ، وانا منكر وهذا نكير ، وهؤلاء من الاديان جاؤوا ليروا كيف تحاسب وتعاقب ، وليشكروا الله على ما أنعم به عليهم قال يا كثير الذنوب ، ما ذنب الذين حرمتهم من ري ارضهم ، قال انهم لم يكونوا من أهل اللطف كسواهم ، قال منكر : اهل اللطف عندك هم من ملاؤا جيبك ، وستروا عيبك ، يا نكير ، عليه اللطف بخمسين ، صاح المهندس ، وتتابعت الجلدات ، الى ان تم العدد ، قال منكر : ما قولك في من عرقلت اعمالهم ، لعجزهم عن القيام بما تفرضه على امثالهم ، قال الرجل رحماك ، قال منكر . انما يرحم من يرحم يا نكير ، اريد خمسين بلا رحمة ، صدع نكير بما أمر ، وانهال على المهندس باشد الجلدات ، حتى أتم الخمسين ، قال منكر : وبماذا تجيب عن خضوعك لذوي المال ، وتكبرك على الضعفاء ، الم يكن الفريقان متساويين في الحق ، قال والله ان الضرب آلمني وأذهلني ، قال منكر : انتظر البقية ، يا نكير : هات الخمسين الثالثة ، لم يقصر نكير ولا في واحدة ، قال منكر : وما عذرك في غشك حكومتك ، بعد ان وثقت بك . قال كانت أعمالي كثيرة ، وكان في المستطاع ان تقوم «مصلحة المباني» بهذا الامر ، قال منكر : لا تقل هذا في حينه يا حبيبي ، وماذا اتفقت مع (المقاول) وتركته يبني القنطرة كما يشاء ، يا نكير ، زد الخمسين الرابعة ، لا تنظر لصراخه ، اضرب وانا أعد ، فما زال نكير يضرب ومنكر يعد ، الى ان كمل العدد ، فقال منكر : الهي ان

عبدك وقع من حائط عال ، فانكسر رأسه ومات ، وانك بما أصابه لعليم ، فاغفر له ياغافر الذنوب ، فهبط ملكان : حملاه الى النعيم الخالد ، والله ذو الفضل العميم

ولي الدين يكن

— ١٦ —

المعلم

الى أخي ولي الدين يكن

جاءني رسول من ادارة المقطم ، بكتاب أوصله البريد ، كتب على غلافه هذه الكلمات :

(حضرة صاحب العزة ولي الدين بك يكن ، كاتب مقالات « منكر ونكير » — جريدة المقطم — مصر) ، وعلى الغلاف والكتاب باسم (اوتيل شبرد) ، أما الكتاب فهذا ما فيه :

حضرات الافاضل أصحاب المقطم

حضرة الفاضل ولي الدين بك يكن

بالله ما معنى هذه الرسائل الطويلة المريضة التي تنشرونها في المقطم بعنوان « منكر ونكير » قرأت منها اثنتين او ثلاثة فوجدتها سخافات في عباطات تمج منها النفس ، أما كفاكم ١٥ مقالة كالليالي الشتا (طويلة وباردة ومظلمة) —

أحد القراء

هذا هو الكتاب بلفظه الرائق ، و نصه العجيب ، نقلته اليك ، وحفظت الاصل لأنشره في المقطم على (فريق المتأدبين) ليروا فيه نموذجاً عجيباً من أدب الانتقاد ، فما رأيك ، اني أنتظر بيانه فيما ستكتبه من أخبار محكمتكم ، والسلام عليك ورحمة الله

يوسف حمدي يكن

الى أخي يوسف حمدي يكن

اذا لم يكن في دنياكم سوى واحد لا يعرف معنى ما يقرأ ، فما أهون الخطب ، ولله الحمد ، واني لأ لتمس للرجل عذراً ، ألم يقل «بالله عليكم ما معنى هذه الرسائل» ، فهل يلام من لا يفهم معنى الكلام ، اذا اعتبره من السخافات ، ياحمدي ، انك تنشر كتاباً فيه نقد كل نقص من اخلاق الطوائف ، متنزهاً عن كل غرض ذاتي ، وفيه ذكر من فارقوا دنياكم ، من كتاب العصر وادبائه وشعرائه ، واكثرهم كاد ينسى ، وكم فيه من رشد يمحق الغي ، وانتصار للضعفاء وانصاف للمظلومين ، فاذا أراد أديب ان يعيبه ، وليس في الدنيا مالا يعاب فأيقن أنه لن يعيبه بمثل ما كتبه هذا القارىء المجهول ، ليته أطلع أحد (التراجمة) في نزل « شبرد » على ما كتبه لينقحه له قبل ارساله ما أشد شوقي الى رؤيته بين يدي منكر ونكير يسألعن «الهباطات» ويجلد ، « ولا يظلم ربك أحداً »

وبعد ففي هذا الدرس ما يكفي ذلك المتأدب الشجاع ، دعنا الآن منه ، واقرأ ما حدثني به سميري قال : ذكرنا فيمن ذكرنا : الشعراء

والكتاب وصغار الموظفين، فما لنا لا نذكر طائفة المعلمين، وارحمتاهم، تعلموا فعلموا، وتهذبوا، فهذبوا وما زالوا حيث وضعوا منذ انضج العلم عقولهم، ينشأ الواحد منهم معلماً ويموت معلماً، لا ذنب له يوجب حرمانه من أرفع المناصب، سوى أنه اختار أن ينفع بعلمه، يولي ابناؤهم الاحكام وهم محكومون وكم فيهم من قبل يداً كانت تمد الى يده للتقبيل، الى هذا الحد تحكم الدهر في بعضهم، وليته أنصف الآخرين قال لي أبي في يوم من أيام صباي، أأقص عليك يا بني ما يدلك على مكانة المعلم، قلت تفضل يا والدي، قال: زعموا ان أحد الحكام، دعا الى بلده «ارسطاليس» الفيلسوف، فأخذ عنه الفلسفة، ونبغ نبوغاً شهد به استاذه، ومرت أعوام كانت نهايتها أن أغار على بلده عدو من أعدائه، قهره وطرده، فخرج الحاكم مفكراً فيما يصنع، حتى اذا بلغ بلداً قريباً من مقر حكمه، كان رأيه أن الحاكم العادل لا يدانيه في شرفه الا المعلم النافع، فاختار لنفسه ان يعلم الناس، وبينا كان جالساً في صبيحة يوم عند باب داره، ينتظر تلامذته، اذ بعجوز وقفت امامه، تنتفض، غضباً لأنه ضرب حفيدها أثناء الدرس، فلم تدع لفظاً من الشتائم الا وجهته اليه، والحاكم ناظر سامع لا يجيب، ومر به رجل من أشرار بلده، سمع ورأى ما سمعه الحاكم ورآه، فابتسم قائلاً: ما الذي استفدته يا صاح من حكمة ارسطاطاليس، فنظر اليه الحاكم وقال: الصبر على هذا المنظر

أقول هذا يا ولي الدين، وقد أذهلني ما اتصل بي من ان الملكين

سيحا كان اليوم أحد المعلمين .قم معي الى المحكمة ، لنشهد ما سيحاسب عليه هذا المسكين

ذهبنا الى المحكمة ، دخلناها ، فقابلنا المكان بالتحية والترحيب وأشار منكر ، فنظرنا كهلاً راقداً ، مبتور الساقين ، قلت من هذا البائس ؟ قال منكر : هذا العبد المجرم ، من طائفة لها الفضل على الناس انه من المعلمين . لا أكثر الله امثاله بين عباده ، الاول من ذنوبه : انه كان ينام أثناء الدرس ، فلا يدري من أمر تلاميذه خيراً ولا شراً ، وتنقضي حصة التدريس على غير فائدة ، سوى ان الاستاذ نام وقام ، الثاني ، انه كان لا يحضر الدرس الذي سيلقيه ، فاذا أيقظه التلامذة لم يجدوا منه قادراً على شرح المتن ، والا كثار من الامثلة ، والجواب على كل اشكال ، الثالث : انه كان لا يعرف المساواة بين الطلبة ، في تعليمهم وافهامهم وأجابتهم . الرابع انه كان شديد التحامل على الفقراء وقباح الوجوه ، فلا يقبل منهم عذراً ولا يغتفر لهم هفوة ، ولا يصدق لهم قولاً ، ولا يكون جزاؤه اياهم عن ذنوبهم الا مضاعفاً ، الخامس : انه كان يحابي في الامتحانات . فيؤخر متقدماً ، ويقدم متأخراً ، وفي ذلك مافيه من الضرر الجسيم ، السادس : انه دخل « الفصول » غير مرة وهو سكران ، لا يعي ما يقول ، ولا يفهم مايقال ، السابع انه كان سيء السلوك في خارج المدرسة ، وداخلها ، مع علمه ان الطلاب يعتقدون في مدرسيهم الكمال ، فكان لا يبالي بأن يراه أحدهم حين دخوله مكاناً من الامكنة التي يذهب فيها وقار المرء ، الثامن : انه

كان بذيء اللسان ، في الخطاب وهو لا يجهل ان المعلم قدوة في أدبه ، ومثال في خلقه ، الآن ستعاوده روحه فيسأل ويجزى ، والله أحكم الحاكمين .

فتح المعلم عينيه ، وقال أين أنا ، قال منكر : في قبرك ، وانى أنا وزميلي ملكا السؤال والجزاء ، قال اذن انت منكر وهذا نكير ، ماذا تريدان مني ايها الملكان ، أمامكما رجل لم يذق في حياته لذة النعيم وكان كلما انتقد به هونه على نفسه بقوله : لا عيش الا عيش الآخرة قال منكر : لا تطل في كلام لا يجدي ، فهذه صحيفة ذنوبك حفظتها اليوم ، وسمعها مني الحاضران أمامك ، خذها واقرأها سطراً سطراً ، أخذها المعلم قرأها ، قال منكر : أتستطيع انكار واحدة من سيئآتك ، فأطرق الرجل صامتاً ، قال منكر : يا نكير ، أرأيت صمته وانكاره الذنوب الثمانية ، يكفيه على كل واحدة من الثمانية خمسون جلدة ، ليكون العدد أربع مئآت ، اضرب ، لا ترفق ولا تتحير ، فما زال المعلم يصرخ ونكير يضرب ، الى ان كمل العدد ، فبسط منكر كفيه وقال : يا واسع المغفرة ، انك تعلم ان عبدك دافعته سيارة لأحد الحمقى بترت ساقيه واماتته ، ولقد عاش مي ء الحظ ، ومات ولم يذكره ذاكر كأنه لم يخلق فهبه من لدنك مغفرة ورحمة ، انك بعبادك رؤوف رحيم

ولي الدين يكن

— ٧ —

المأمور

الى اخي ولي الدين يكن

جاء البريد بكتب ثلاثة ، اولها مذيل بهذا التوقيع (أحد قراء المقطم) ، وثانيها بهذا الاسم الكريم (حنفي عبد المتجلي أبو العلا) ، إستنكر الكاتبان الفاضلان ما كتبه صاحب « السباطات » في نقده العجيب ، وتفضلاً بالثناء على فصول (منكر ونكير) ، كلانا يا ولي الدين يسره ما يبديه الادباء من حسن الظن ، ويخجله ان يعلن ما يسطرون من كلمات الاعجاب ، اني لا أرى سوى شكر الفاضلين على ما اظهرا من دلائل الرضاء ، اما الكتاب الثالث ، فمن مدرس جليل ، وخبير حسابي ، اسمه الكريم (مصطفى عزت مصطفى) نم كتابه عن انصافه ، ودل على ارتياحه لمحاكمة المعلم ، لكنه يسألك بقوله . ألم تصل اليكم معلمة من المتبرجات الخ فما قولك : دام فضلك ، والسلام عليك ورحمة الله

يوسف حمدي يكن

الى أخي يوسف حمدي يكن

أبدأ كتابي بشكر الكرام الكاتبين حفظهم الله ، أما السؤال ، فالجواب عليه : ان محكمتنا ليست مختصة بالنظر في شئون السيدات ، لا تحسب الامور فوضى ، فللسيدات محكمة عادلة تحاسبهن ، لكننا

لا ندخلها ،ولا ندري من خبرها شيئاً ،قال أناس عندنا : لعل الملكين « منكر ونكير » زوجتين ترأسان تلك المحكمة ، قلت هذا ظن لا يقين فيه ، والله يعلم وانتم لا تعلمون

وبعد، فهل تذكر ياحمدي الكاتب الاديب الشيخ احمد ماضي، منشيء (المؤيد) مع الاستاذ الجليل الشيخ علي يوسف ، وشريكه فيه اشهراً قلائل ، انه جاري في الفردوس ، لقيته اليوم ، قلت اهلاً بالقريب البعيد، طال اشتياقي وهجرك ، زرتك غير مرة فماوجدتك، ولو أردت ان تزوروني لو جدتني ، قال الصديق : والله ماشغلني عنك هذه المدة الا زيارة الاهل (وأهلي وأن ضنوا على كرام) ، وفيهم من لا استطيع ان أعصى له امراً ، ذلك هو والدي ، ولما عدت اليوم الى جنتي لقيني صديق أعزه وأجله تحادثنا وذكرنا ، وقد أسمعني من قولك قبل ارتحالك عن الدنيا بأيام هذه الابيات

ترى ماذا وراءك من عجيب ... اذا فتحت يا باب المنونِ
مظاهرك السكون لنا ولكن ... أما ولد الحراك من السكونِ
قد استعصى الرتاج على عقول ... وقد سد الطريق على عيون
فصارانا الظنون فما عبرنا ... مذ الاعصار ساحات الظنونِ
وما في دولة الارواح روح ... دنت من عرش سلطان اليقينِ

هذا الشعر يا ولي الدين مما أحبه ، ولقد الهب نار الشوق اليك الهاباً ،قيتك والحمد لله ، أنظر ،ما أحسن هذا المكان ،هذا ما لم تصل اليه الظنون ، ولم تحلم بمرآه العيون ، اجلس معي تحت هذه الشجرة

فلما جلسنا ، قال ما رأيك في قصيدة الشاعر احمد رامي ، ومطلعها

الصب تفضحه عيونه وتنم عن وجد شؤونه

قلت : حدثني رحالة ، قال رأيت في غابة من غابات افريقية رجلاً عجيباً ، في جبهته عين ثالثة ، وعلى قفاه رابعة ، وفوق رأسه خامسة ، وعند ركبتيه سادسة وسابعة ، قال صديقي : ما أكذب رحالتك ياولي الدين ، قلت لا تعجل ، اليس هذا كالصب الذي وصفه رامي ، ولم يذكر عدد عيونه ، ولعلها اكثر ، اما القصيدة فلم تصل الى ، وما سمعت المطلع الا منك ، واني اعرف رامي شاعراً جيد القول ، لكن هذا المطلع تفضحه عيونه

ضحك الصديق احمد ماضي وضحكت ، ثم التفت ، فابصرت بسميري مقبلا علينا ، قلت ماوراءك . قال بادروا الى دار العدل ، ان الملكين سيحاسبان أحد المأمورين ، والمدعوون كثيرون ، قال صديقي : هذا مشهد لا بد من رؤيته . وقام

قمت معه ، سرنا الى المحكمة ، دخلناها ، فجاء الملكان فسلما وسلمنا ، وما زلنا نسير بين الجموع الحاضرة الى ان حاذينا الجثة ، على رابية عالية ، فتقدم منكر ، وخطب فقال : الحمد لله ، أعز من اطاعه ، وأذل من عصاه ، عباد الله ، ان العظات خير من التجاريب ، وكم في الدنيا من العبر لمعتبرين أولي النهى ، أفلح والله من اهتدى ، وخاب من ضل وغوى ، هل حسب الآثم انه سيترك أبداً ، ألم يعلم ان الله يرى ، الاولى سبيل الآخرة ، الا الى الله الرجعى ، عباد الله ، هذا العبد

المجرم ، من طائفة ائتمنت على الانفس والاموال ، لا جعل الله ثانياً له فيها ، واني لفاريء عليكم سجل آثامه ، فأولها ، انه كان يغيب عن مركز عمله ، ويثبت في دفتر (الاحوال) كذباً وزوراً انه قام ليمر على جهات « مركزه » أو « قسمه » ، فيذهب الى حيث شاء هواه ، وثانيها ، انه كان يستعمل سلطته في أمور لا تعني سواه ، فكم سخر من جند وخفراء لخدمة بيته ، وما أراد من مشتهياته ، وكم عذب أناساً لا تبيح الاصول تعذيبهم ، وكم ولج المنازل بمقاصد شتى ، وثالثها ، انه كان يغض الطرف عن أماكن القمار ، ودور الفحشاء ، يأخذ منها أجر اغضائه ، فلا يصغي الى شكاية الشاكين ، ولا يبالي بويلات الناس من شر تلك الاماكن والدور ، ورابعها ، انه كان يتقرب الى فريق من الاكابر والسراة من أهل جهته ، ويميزهم عن سواهم في كافة الحقوق ، يولمون له الولائم ويقدمون له الهدايا ، وعند الحاجة ، يكافونه ما يبتغون ، وهو عبد مأمور ، وخامسها : عداوته للفقراء ، بلا موجب سوى فقرهم ، يطردهم من حضرته ، لا يسمع قولهم ، ولا يرثي لدموعهم ، كأنهم ليسوا من العباد ، وارحمتا لهم ، ظلموا واستجاروا به ، فما وجدوا منه سوى حجر لا يسمع ولا يجيب ، وسادسها : انه كان يهمل تحقيق الوقائع فكان يأمر أحد الجند باجراء التحقيق ، ليتسع له مجال لهوه ولعبه ، والجندي يحقق على قدر علمه ، فيختلط الحابل بالنابل ، والى الله عاقبة الامور ، وسابعها : فقدان الامن في عهده ، حتى قيل انه كان يقاسم اللصوص ما يسرقون ويأخذ كراء

سكوته عن المعتدين على الانفس . وثامنها : انه كان يشوه الحقائق في دعاوى من لا ذمة لهم من الموسرين ليفوز بما يطمع فيه من نوالهم وتاسعها: سفاهته وصلفه على من هم تحت أمره ، ومن لا يرتجى منهم نفعاً من سائر الناس ، وعاشرها : انه كان يأتي المنكرات حتى في مقر عمله ، فما أطول حسابه ، وما أهول عقابه ، انظروا اليه ، انه بدأ يتحرك

نظر المأمور الى الملكين ، والحاضرين وهم آلاف ، لا تسل عن ذعره ، قال بصوت قطعه الرعب ، أين أنا ، قال منكر : انك في موقف المجرمين ، بين يدي أحكم الحاكمين ، ارتعد الآثم ، وهم بالفرار ، فما استطاع حراكا ، قال منكر أين المفر ، أمن الله أم من ذنوبك تفر ، اليوم يوم الظالمين ، لهم جزاؤهم ، وانه لعذاب أليم ، خذ صحيفتك السوداء ، اقرأها كما قرأتها الآن على الحاضرين ، فلما فرغ المأمور من قراءة صحيفته ، قال منكر : يانكير ، أتعبني في يومي هذا الخاسر ، الآن جاء دورك فاجلد بسوط عذابك ألف جلدة متتالية ، صرخ المأمور انا لا احتمل ألف جلدة ، فما جاوبه سوى سوط نكير ، وما زال يصيح فلا يغاث الا بالضرب ، الى ان خمدت أنفاسه ، وتمت الجلدات فقال منكر ، يا نكير . أسلمه الى الزبانية ، قل لهم الى الهاوية ، في نار حامية

ولي الدين يكن

— ١٨ —

السمسار

الى أخي يوسف حمدي يكن

ذكرت بالأمس أخانا وابن عمنا ، العالم الرياضي، والقانوني الشهير « شفيق منصور يكن » قال سميري رأيته منذ أيام ، في جنته ، على أريكة لا مثيل لها في قصور الملوك، بين يديه بعض المصنفات الرياضية العصرية ، وسمعته يقول : « أهذه أنفع للطلاب من كتبي ، ما عيبها الم يتعلم منها الكثير من النابغين » هذا ياولي الدين حال علمائنا ، تعبوا في أولاهم وأوذوا في آخرتهم ، مات « شفيق منصور يكن » في مقتبل العمر ، أضناه جده في سبيل العلم ، فذهب بحياته الضنى ، وجاءت رسائل العزاء الى والده « يحيي منصور يكن » والى عزيز مصر « محمد توفيق الاول » من ملوك الغرب وعلمائه ، وبعد قليل من السنين نسي الناس اسم شفيق ، واستعيض عن آثاره بسواها ، وليست خيراً منها ، لو كان شفيق من بيت صغير ، لما مات الاجوعاً ولم يعلم بموته احد، ولو نشأ نشأته في أرض غربية ،لأقيمت له التماثيل بعد ارتحاله من الدنيا ، الا رضي الله عنه ، وأدام عليه نعمته ، علم غزير، وأدب نادر ، وظرف جاذب ، وتواضع عجيب، وبر بالوالدين، وحب لذوي القربى ، ورفق بالمساكين ، رأيت يا ولي الدين أناساً،

ليس لهم من العلم بمض حظه، ولا من المنزلة الادبية جزء من نصيبه، نفخهم الكبرياء حتى كادوا يفرقعون، وغرهم مال ولدوا فيه ما كسبته أيديهم ، ولا استطاعوا ان يزيدوه، فهو وحده نخارهم ، ليس فيه حق معلوم ، للسائل والمحروم ، لا أكثر الله منهم ، ما نفعوا ولا انتفعوا ، وانما عاشوا ليأكلوا ويسمنوا

وبينما أستمع لسميري ، اذا بصوت ينادي ياولي الدين، قلت من المنادي ، قال أنا شفيق يكن ، فأسرعت الى لقائه والسلام عليه، ورجعت به الى حجرتي ، وذهب سميري ليأمر الخدم باعداد ما يلزم لاكرام الضيف ، وعاد بسرعة البرق فسلم وجلس ، قلت للضيف العزيز : كنا الآن نذكرك وكنت أنوي أن أزورك مع سميري قال: ولقد ذكرتكما وزرتكما فسبحان من الف بين قلوبكما ، لقد كنت اليوم حكماً بين متخاصمين ، قلت ومن هما، قال الشاعر: يحيي السلاوي والرحالة عبد الله المغيرة ، جاءاني ضحى ، قال السلاوي : لقد كنت يا ابن منصور قاضياً بين الناس بالحق فكن بيننا حكماً عادلاً قلت ما خطبكما : قال المغيرة : دعني ياسلاوي أتكلم ، قال السلاوي : أنا البادىء الآن فيجب أن أتم الكلام ، قلت لا تختلفا في هذا ، يبدأ بالكلام اكبركما سناً ، قال السلاوي : هذه عادة قديمة ، قلت وهل تبدلت بخير منها ، أيحسن ان يكون القول للصغير قبل الكبير ، ان جاز هذا في الدنيا فلن يجوز في الآخرة ، الكلام للمغيرة ، تبسم عبد الله المغيرة وقال: سألني السلاوي عن الاستاذ الحكيم حسن حسني

الطويراني بقوله : أيكون لمثله جنة أعظم من جنتي ، وهو القائل

قام السلاوي يصلي ونحن نشرب عنه
تقبل الله منا ولا تقبل منه

قلت يا هذا ، أتؤاخذ الرجل على ما قال ، في زمن صباه ، أهذه سيئة تذكر بجانب حسناته ، أتعلم كم الف وخلف من الآثار ، قال الله تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئآت » وقد غفر له ربه ، وما زلت أنت تؤاخذه ، أنسيت أنك في رمضان أخرجت علبة (النشوق) فوضعت منها في أنفك ، ولما قيل لك ألم تك صائماً ، زعمت ان النشوق لا يفطر ، وجادلوك فغضبت وشتمت مجادليك ، كأن المرء لا يصدق صومه الا اذا ساء خلقه ، وأنت الآن في الجنة ، كيف دخلتها اذا لم يغفر لك الله ، قال شفيق : فنظرت الى السلاوي قائلاً : أهذا ما حدث بينكما ، قال نعم ، وقد حاول المغيرة ان يضربني ، ولو فعل ، لأريته ما تصنع به كفي ، قلت اما الضرب فلم يقع ، فلا حكم عليه ، وأما اعتراضك فاني آسف عليه ، واني لمذكرك بقول احكم الحاكمين « ولا يظلم ربك أحداً » كلا كما ، نال ما استحق من عادل لا يظلم ، فاستغفر ربك انه لا يغفر الذنوب الا هو ، وطال بعد ذلك ضحكي ، اذ بدأ السلاوي يستغفر ويبكي ، ولا أخفي اعجابي ببيتي الطويراني ، فانهما من لطيف مجونه

قال سميري : وما رأي السيد العزيز ، ايصاحبنا غداً الى المحكمة أم لديه ما يشغله ، قال شفيق : وماذا هناك ، قال سميري : ان محكمتنا

فننظر غداً احد السماسرة ، قال اذاً فمرا بقصري في طريقكما اليها ، اني اود ان احضر هذه المحاكمة ، وأسمع السؤال والجواب ، ومضى الامس في مساءرة ترتاح اليها النفوس ، وآب الضيف الكريم الى قصره

واليوم دنا الموعد ، فخرجت وسميري ، سرنا الى قصر « شفيق منصور يكن » فألفيناه في انتظارنا أمام الباب ، قلت أثابك الله وأرضاك ، هكذا كنت في الدنيا ، اني رأيت في تلك الدار من يزار فينتظره زائره الى ان يمل ، ثم لا يجد من الوقت للكلام سوى دقيقتين لأن « البك » او « الباشا » يريد الركوب والخروج ، (الى حيث القت رحلها ام قشعم) ، ضحك شفيق وضحكنا ، ثم مشينا الى ان دخلنا المحكمة

رأينا الملكين واقفين ، تبادلنا التحية ، ثم نظرنا رجلا طويلا ممدوداً ، له وجه قبيح ، لو وقف لحسبته قرداً يطل من مأذنة ، قال منكر هذا العبد المذنب ، من طائفة خصت بتأليل الصعاب للناس ، في امور بيعهم وشرائهم وكرائهم واقتراضهم ، لها من كدها وجدها في هذه الامور ما تحيا به سعيدة ، ولكن هذا العبد قد جعل مهنته وسيلة للانتفاع من الاضرار بالناس ، وستشهدون سؤاله وجوابه ، ثم تنظرون جزاءه ، انه سيبعث بعد قليل

بعث الرجل ، نظر الينا ، وابصر الملكين ، قال من انتم ، قال منكر : هؤلاء من اهل الجنة جاءوا ليروا كيف تسأل وتجازى ، وأنا ورفيقي ملكا الحساب والعقاب ، قال السمسار : اذن انا مت ، وهذا

قبري ، ياضيعة البيعة الثمينة ، قال منكر : لاتهذ ياجل ، قل : اما كنت تغش البائع والمشتري ، قال ماغششت الا الاغبياء وما حيلتي ، الست عائلا ، قال منكر ، افي هذا ما يبرر عملك المرذول ، لا يغش الا الغبي ، ولكن الغباوة لاتبرر الغش ، والحاجة لاتدفع الى الاجرام سوي اهل السوء ، يانكير ، اجلد هذا العملاق مئة شديدة ، صاح المجلود ، ولم يبال الجالد ، فلما تمت المئة ، قال منكر : الم تتفق ايها السمسار مع المرابي على الراهن ، قال هذه حصلت مرة ، جاءني سعادة البك) وقد اضاع ماله في (البورصة) وليس في عقاره ومزارعه مالم يرهن ، فطلب الي ان اجد له من يقرضه على رهن في الدرجة الثانية ، اعني رهنا على رهن ، فلم اجد له الا رجلا عظيم الشره ، قال لي اتفق معي على سلب هذا الاحمق . اني اولى بما سيذهب في البورصة ، قال منكر : وهذا الدفاع كالسابق لايحلل لك الحرام ، يانكير ، اريد المئة الثانية فلما اكملها نكير ، قال منكر : وماذا تقول فيمن خدعته فاستكتبته (تفويضاً) لا امد له ولا ميقات ثم تركته وشأنه ، حتى اذا شاءت الاقدار ان يتم عمله بلا وساطتك ، طالبته بما لا تستحقه وقاضيته فأخذت مالاً حراماً ، قال السمسار : ألم تحكم لي المحكمة ، قال منكر ، أعرك انها حكمت بالمظاهر ، ليس هنا حكم كهذا ، ان الله علام الغيوب ، قال السمسار : الذنب ذنب (الافندي) ، انه ألجأني الى فعلتي كان بخيلا ، لم يرض اعطائي اكثر من واحد على كل مئة ، قال منكر فكان جزاؤه منك ، ان لاتؤدي له عملاً ، وان تأخذ منه مالم يكن

من حقك ، يا نكير ، اتقن المئة الثالثة ، فلما اتقنها ، قال منكر : وما قولك فيمن افسدت عليه عمله لانك لم تجد فائدة ترضيك ، قال السمسار : كانت (شغلانة ملعونة) ، جاءني مفلس ، بوصاة من صديق قلت ما مسألتك ، قال بقي لي منزل صغير ، لا يباع لانه موقوف ، كريته الى ست من السنين ، وانفقت ما أخذته ، وأريد كراءه لمدة أخرى ، فوجدت له من رغب في اكتراء منزله ، ولكنني علمت في الآخر انه يريد اعطائي ديناراً واحداً ، فاخبرت الراغب ان المنزل آيل الى السقوط ، قال منكر : أعوذ بالله منك ، يا نكير ، عجل بالمئة الرابعة ، فلما انتهى الملك من الجلد ، قال منكر ، وما عذرك عن الحلف بالله باطلاً ، في كل شارقة وغاربة ، أظننت ذلك أداة نافعة ، ويلك يا خاسر ، خذه يا نكير الى السعير ، وبئس عاقبة المجرمين

ولي الدين يكن

— ١٩ —

الشرطي

الى أخي ولي الدين يكن

بحثنا خلقي ، وعندي الآن نموذج في ضرب من الاخلاق ، لا ضرر من الكلام عليه ، هو كتاب ثان جاء به البريد ، مصطنع التوقيع ، لم يسلم ولا من الخطأ النحوي ، ما أشبه انشاءه بما يحرر في

بعض الصحف ، وما أدناه الى ما يكتبه بعض (العرضحالجية) يقول كاتبه (لطف الله به) مامعناه : ان فصول « منكر ونكير » متشابهة ، ليس فيها سوى الجلد ، والجنة ، والنار ، فهي لهذا سخيفة مملة ثم انتقل الى شخصي ، فقال ما شاء أدبه أن يقوله . غفر الله له ، وانى لا أدري ماذا يريد هذا الناقد المهذب ان يكون في الآخرة ، أعندكم ياولي الدين (تياترات) أو (محلات سينما) أو منازل يلعب فيها (البوكر والروليت) ، اهل في هذه ما يريده من لم يستطع أن يفهم الغرض من الكتاب ، اكتب هذا اليك على سبيل التسلية في شهر رمضان ، وانا اعلم ان ذوي الفضل كثيرون ، وان صحائف المقطم لاتضيق عن نشر ما دونه من النقد ، وانت تدري ان لدي عشرات الرسائل ، من الأدباء المجيدين فصول الكتاب ، ليس لمثلي أن ينشرها ، لا تتوهم ان المرسل أحد السماسرة ، انهم أرفع من ان يكون فيهم مخلوق هذه درجة ادراكه ، علمت كل طائفة انا نخدم الاخلاق ، والادب العربي ، لانريد بأحد سوءاً ، هذا يكفي ، وبعد ، فقد قرأت في المقطم لسيد فاضل ان الصديق الرحالة « عبد الله المغيرة » ما زال حياً في دنيانا ، وانه في طريقه الى مصر ، فما قولك ، والسلام عليك ورحمة الله

يوسف حمدي يكن

*
* *

الى أخي يوسف حمدي يكن

بالله ربك يا حمدي ، ان ذكرت الادب العربي والانشاء ، فلا

تذكر بعض صحائف اليوم ، ألم تعلم أني ماحمدت الله على موتي الا لأني مت قبل ظهورها ، وهي بحمد الله من الصحف الممنوعة عنا ، قد نرى بعض اعدادها ، لكنها أشبه الاشياء بالمهربات عندكم من (الحشيش والكوكايين) ، أما كاتب الكتاب ، فلو أراد النقد الأدبي لأعلن نقده وأظهر اسمه ، انه لم يرد سوى الشتم . لعله من اذناب البعض ممن قال عنهم سميري في الاسبوع الماضي : ان فخارهم مال ولدوا فيه ، ما كسبته ايديهم الخ ، وفي الناس قليلون من امثال هذا الذنب لايفارقون الاغنياء ، فاذا انتقد أحد اخلاق البعض من ذوي المال ، ظن الاذناب انه قصد من يعيشون بنعمتهم ، الله يعلم يا أخي أنا بعيدان عن هذه الاغراض ، وأما الصديق الرحالة عبد الله المغيرة ، فان وجوده في دنياكم ، لاينفي خبر زيارته ايانا ، وليس في الأمر من عجب ، ألم يقرأ الناس في « المقدمة » وصفك الصراط والجنة ، وخير لقائنا وحديثنا ، واتفاقنا على عشرين رسالة ، وانت حي في الدنيا ، فهل يعجز هذا الرحالة عن المرور بالجنة في احدى رحلاته ، فان حسبته مات لأنك لم تره منذ سنين طويلة ، فاحمد الله واشكر من تفضل بذلك البيان ، ولا تنس تبليغه تحيتي حين تراه

وبعد ، فقد تاقت نفسي اليوم الى نزهة في النهر ، دعوت سميري وركبت معه زورقي ، ليست زوارقنا ياحمدي كالتي عندكم ، هذه في غنى عن النوتية وسواهم ، تجري بنا كيفما شئنا ، وترسو حيثما اردنا ، باسم الله مجريها ومرسيها ، سرنا على صاف كالمرآة ، ما رأت العين

أبهى من صفائه ، ولا ذاق اللسان أعذب من سلسبيل مائه ، والنسيم كأنفاس العذارى ، زكي لطيف ، مررنا بجنان وقصور ، آهلة بالحور ، كأنهن أتراب البدور ، أوقفت الزورق ، لأسأل عن جنة السيد الجليل ، العالم العامل ، الكاتب المبدع ، عبد الرحمن الكواكبي ، كاتب (طبائع الاستبداد) ، وصاحب (أم القرى) ، فقد زارني ولم أزره ، فسمعت حوراء تقول لأترابها : هذا الشاعر ولي الدين يكن ، كان في شعره رقيق الغزل ، يحسبه سامعه صباً والهاً ، وما كان الا ناطقاً بسجيته ، أتسمعين ما احفظه له ، قلن انشدي ، فانشدت :

نظرات كأنها تتحرى منفذاً للفؤاد بين الضلوع ـ
نافذات اليه مثل رصاص الـ ـحرب لاقى مستحدثات الدروع ـ
قد تأتت على مواضع فيه ثم قرت في مستقر الخشوع ـ
فهو دام ولا يمج بجيماً وكسير وما به من صدوع ـ
كلما رمت نزعها عاد كفي بقليل من بعضه منزوع ـ

في هذه اللحظة ، سمعت من الشاطئ المقابل منادياً يقول: هنيئاً لك يا ولي الدين ، الحور تتغنى بشعرك ، التفت ، فاذا « الكواكبي » قلت أأنت يا سيدي ، اني كنت على وشك السؤال عن قصرك ، ودنا الزورق من الشاطئ ، فنزلت وسميري ، وصافحنا الصديق ، وسرنا معه الى قصره ، فجلسنا ، قلت اني احمل اليك تحية صديقك في الدار الاولى ، أخي حمدي يكن ، أوصلها الى رسوله ، قال لكما الشكر ، بلغ أخاك أزكى تحياتي ، اني لن انساه ، عرفته من شهيد

وطنه ، الاديب التركي « صالح جمال » صاحب المطبعة العثمانية ، ومدير جريدة (القانون الاساسي) وقد كنا معاً يوم مات هذا الصديق ، وتبعنا جثمانه الطاهر الى مقر الخلود ، وتحادثنا بعد هذا في شؤون مختلفة ، ثم طاف بنا قصره وروضته الفيحاء ، هنا وقف الكواكبي قائلا : أأعجبتك روضتي أيها العزيز ، قلت انها من احسن الرياض في الآخرة ، ولا شبيه لها في الاولى ، قال انها ذكرتني قولك من ابيات على لسان البلبل :

فيا روض ان يصبح اديمك يابساً ... ويمس بك الغصن اللبيس مجرداً
وتندب بك الورقاء نوراً وزهرة ... ويبك بك الشحرور بانا وأملداً
(فدع كل صوت بعد صوتي فانني ... أنا الطائر المحكي والآخر الصدى)

وهذا التضمين حسن يا ولي الدين ، قلت ان رضاءك عني يريك كل شيء حسناً ، هذه ابيات قلتها في صباي ، مضى عليها ثلاثون سنة ، ثم نظر الى سميري قائلاً : ومتى ياصاح يوم المحكمة ، قال سميري : انه اليوم ، وقد دنت الساعة ، والمنتظر هو احد الشرطة ، فما قول سيدي ، قال الكواكبي ، اني اقرأ اخبار المحكمة في المقطم فلا أرى مايوجب ذهابي اليها ، أما الصديق ولي الدين فلا بد من ذهابه ، ليكتب الى أخيه مايراه ، واظن الخاتمة في الاسبوع المقبل ، قلت نعم قال اثابك الله ، ومشي معنا الى مكان الزورق ، فسلمنا وركبنا ، قال سميري : ان النهر على مقربة من المحكمة ، فلنصل اليها من مجراه ، فرأيت رأيه وما زلنا نتحدث بظرف الكواكبي الى ان بلغنا المحكمة

دخلناها ، قابلنا الملكان بالسلام فسلمنا ونظرنا ، فاذا جسد في في غلظه كجسم البغل ، له رأس كرأس الثور ، قال منكر : هذا يا ولي الدين من طائفة كانت حفظ النظام ، وصون الأموال والأنفس ، ولكن هذا المجرم كان من شر العباد ، لا نظير له في طائفته ، ضج الناس من سيئاته ، فلم يشيعه الى قبره سوى حاملي نعشه ، وخرجوه وانصرفوا ، واني لسائله عن آثامه ، ومذيقه بأمر الله أشد العذاب

بعث الميت ، رأى الملكين ، قال : (عاوزين ايه) ، قال منكر : يا عبد الله ، هذه ساعة حسابك ، فهل أنت قادر على الجواب ، قال الشرطي : (مانيش فاهم بتجول إيه ، ما تتكلم دوغري ، هو انت يعني من الازهر) قال منكر : انت مت يا رجل ، وأنا منكر وهذا نكير ، قال الشرطي : (ياخبر اسود ولفة القمر الدين مين حايا كلها) قال منكر : دعنا من هذا ، وقل الآن : أما تفافات عن كل ما يخل بالنظام ، وقصرت في واجباتك ، قال الشرطي (بس من فضلك يا افندي واحده واحده عشان ما أفهم) ، فلما أعاد عليه السؤال متأنياً قال : (معذور يافندي ، شغلنا نار ماحدش يطيجه) قال منكر : يا نكير ، أربد مئة شديدة ، صاح الرجل بأعلى صوته (أنا في عرض الملاحظ ، حرمت يافندي أتوب) وما زال يصيح ، بصوت قبيح ، الى ان تم العدد ، قال منكر : وماذا تقول في استبدادك بالمائعين ، وفرض الضرائب عليهم بلا رحمة ، قال الشرطي (ربنا ما يجطع لك عاده ، أنا كمان راجل فجير ، اوعه تضرب والنبي) ، قال منكر :

يا نكير ، المئة الثانية ، فلما أتمها ، قال منكر : اما ارتشيت وشهدت زوراً لمن رشاك ، قال الشرطي : (بس يافندي خليك حليم ، العيد الكبير كان داخل علينا ، والجضية من رمضان ، وما كانشي حيلتي ولا حج رطل عجالي) قال منكر يا نكير ، لابد من مائتين : فلما ألهبه بهما ، قال منكر : وبماذا تدافع عن بلادتك وجبنك ، قال الشرطي : (من خاف سلم يافندي وبرد الشتا بيخلي الواحد مجرفص) قال منكر : اتقن مائتين يا نكير ، لا كمال الثماني مئات ، فلما أتقنها قال منكر : ألم تعتد على نفس بريئة ، فسلبتها مالها ، ولوثت عفتها ، ألم تحتل على البسطاء حتى من خير انك ، يا نكير ، قدمه الى الجحيم ، والعذاب المقيم ولي الدين يكن

المؤجر والمستأجر

٣٠

الى اخي يوسف حمدي يكن

ذكرت اليوم جارك في حلوان ، الصديق الغالي ، ملك الشعراء ، حافظ ابراهيم ، وكان امامي كتابه (البؤساء) ، تلوت من آياته سطوراً ولولا اقبال سميري ، لما فارقت عيناي الصحيفة ، قال سميري : ماهذا ، قلت له انه خير ما اخرج للناس ، فنظر الى الكتاب وقال صدقت ، لم أر له مثيلا في ما كتب الكاتبون ، سيعلم الآتون ان في العصر من

حاذى المتقدمين ، رأيت من الناس من عاب الكتاب ، لاحتوائه عدداً من الالفاظ المهجورة،ان كان هذا عيباً ، فكم من قول مأثور ، بين منظوم ومنثور ، لم يخل من هذا العيب . فينا ياولى الدين اناس شأنهم عجب،قلت بضاعتهم ، وقصر باعهم ، فاختاروا لانفسهم ان يستروا حقيقتهم بنقد لايراد منه سوى النقد،لذا لم يكن بين أولئك العائبين واحد من المعروفين في دولة الادب ، ما أقل الذين يدركون مقاصد الكتاب مما يكتبون ، انهم مئات ، وان شئت فقل انهم آلاف ، ما أضيع هذا العدد بين الملايين ، من الناس من لا يحسن ولا الاملاء ، يغيظه ان يرى في الوجود أثراً نافعاً ، ولا يجرؤ على اعلان نقده خشيه الافتضاح ، فيلجأ الى الطعن السري ، وما ذنب الكاتب عنده الا انه لم يكتب ما يروقه ، من أمثال قصة (الوابور والسلك) (وليلة المحتالة) و (القاضي والحرامي) الا تدري ان في الاحياء رجالا وان قلوا ، يطربهم الى اليوم قول الشيخ علي يوسف

قدر الامير غدا رفيعاً عالياً قدر الامير كنخلة فيها بلح
وله نياشين تزين صدره فكأنها في الصدر ماء في قدح

وفي مصر الآن صحف حديثة ، لبعضها محررون ، اكثر من قرائها ، لم أر في ما اعنيها رسالة سالمة من لحطأ . قرأت فيها قولها (زيارة فلان لكذا واحرازه على كذا) والفعلان لا يتعديان بحرف ورأيت فيها ان (ليس) من اخوات (ان) ، والفيت فيها المضارع لم يجزم ، حين وقوعه في جواب الامر ، ليت شعري أفي تلاميذ السنة

الثانية الابتدائية من يخطيء هـذا الخطأ ، كل هذا وفي العباد من يظنون بها خيراً ، وقد نشأ عن هذه الآفات وغيرها ، ان ارتضى نفر من الادباء لانفسهم البقاء في المزلة ، كالكاتب الكبير محمد المويلحي ، وفي هذا يقول شاعر الدنيا حافظ ابراهيم

وكم فيك يامصر من كاتب أفال اليراع ولم يكتب

ثم تنهد سميري وقال : اطلت الكلام برغمي ، وكنت اود الايجاز ، فقد ازفت ساعة الذهاب الى المحكمة ، وهناك ما يجب ان تشهده ، قلت وما هو ، قال سيحاكم فيها اثنان معاً ، احدهما مؤجر والآخر مستأجر ، كلاهما سيسأل ويناضل عن حقه ، وكلاهما سيجزى على عمله ، والله احكم الحاكمين ، قم معي لنجد مكاناً ، ان الحضور كثيرون

ولما بلغنا المحكمة ، ودخلناها ، وكنا من السابقين ، حيينا الملكين ، وقادنا منكر الى ناحية فيها جثتا رجلين ، قلت من هذا البدين ، قال الملك : انه المؤجر ، قلت والهزيل ، قال هو المستأجر ، ثم خاطب الجمع فقال : ياعباد الله استمعوا لسؤال الرجلين وجوابهما شمل السكون المكان ، وبعث الرجلان قال منكر : ياعبدا الله لقد احضرناكما من قبريكما الى الوقوف بين يدي الحكم العدل ، رب العالمين ، اذا كانت مشيئته انتهاء اجلكما في يوم واحد لا يجهل احدكما الآخر ، هذا لا ريب فيه ، قال الغليظ : آمنت بالله وباليوم الآخر ، هذا مستأجر منزلي ، وقال النحيل

الحمد لله على الخلاص من دار الغرور ، هذا صاحب بيتي ، اللهم اني مظلوم فانتصر ، قال منكر يارجل ، ان الله يأمرك ان تعلن شكايتك قال المستأجر : ذهبت الى هذا السيد الكبير لاكتري داره ، وكان عالماً بقدومي اليه ، فلم يأذن لي بالمثول بين يديه ، الا بعد ان عيل صبري وظننته حسبني سائلا جاء ليستجديه ، ولما وقفت أمامه ، كان أول كلامه : (ماذا تريد) قال منكر : تمهل يارجل ، ثم نظر الى نكير قائلا : اكتب لهذه خمسين جلدة ، ووصل المستأجر شكاته فقال : قلت له اني اتيت لاكتري دارك الكائنة بجهة كذا ، قال ان كراء هذه لا يقل عن ثمانية من الدنانير ، قلت ألم تكرها فيما مضى بدينارين وهي كما كانت ، قال رحم الله ما مضى ، قلت ياسيدي اني موظف صغير وما اضطررت الى ترك داري الا لأنها توشك ان تسقط ، وصاحبها لا يملك نفقة تجديدها ، فما اجابني السيد بغير قوله (بالله عليك لا توجع رأسي انا صائم) قال منكر : يانكير ، وهذه خمسون ثانية ، واتبع المستأجر كلامه فقال : وبعد توسل عريض طويل ، قبل السيد ان اكتري بيته بستة دنانير ، واشترط ان أعطيه كراء اشهر ثلاثه ، فجئت في اليوم الثاني وقد بعت حلى زوجتي وشيئاً من الفرش ، قال منكر يانكير ، ولهذه مئة كاملة ، واستطرد المستأجر حديثه فقال : ولما شكوت الى القضاء غلاء الكراء ، انصفني بان جعله ثلاثة دنانير ، فما كان من هذا السيد الا ان انتقم مني بهدم السلم ، زاعماً ان به خللا ولما طالبته بارجاعه كعان كان ، زعم انه لا يملك نفقة اصلاحه ، وهو

صاحب الدور ، ورب القصور ، وما زال أمرنا بين يدى القضاء الى ان جاء أمر الله ، قال منكر : يانكير ، أضف مئتين شديدتين ، ليكون الجميع اربع مئات ، ثم التفت الى المؤجر قائلا . اعندك ياهذا ما تقوله قال نعم ايها الملك الكريم ، كان هذا المستأجر كاذباً ، وعدني غير مرة باعطاء الكراء واخلف وعده ، ولو صدق واعتذر ، لكان خيراً لي وله ، قال منكر : يانكير لو لا الظروف التي توجب التخفيض ، لامرتك بكتابة مئة ، اكتب خمسين وعاود المؤجر بيانه فقال : وكان هذا المستأجر قذراً ما ترك حائطاً ولا باباً الا لوثه بانواع الاقذار ، قيل ان النظافة من الايمان ، ولكن النظافة كانت في داره على قدر الايمان ، قال منكر : يانكير ، وهذه يلزمها خمسون ، ووجم المؤجر قال الملك : الا تريد ان تتكلم ، قال : وكان الرجل ثقيلا ، قال الملك يظهر انك افرغت مافي جعبتك ، يانكير ، ابدأ بأكثرهما ذنوباً ، والحق الثانى به ، فلما صدع نكير بما أمر ، وجلد المؤجر اربع مئات والمستأجر مائة ، رفع منكر وجهه الى السماء قائلا : اللهم انك تعلم ما ذاقه هذا المستأجر في دنياه من آلام الحياة ، وتعلم كذلك ما افناه هذا المؤجر من عمره في الجد والعمل ، لم يولد ذا مال ، وانما اكتسبه بكده وصبره ، ولقد لقى الرجلان جزاءهما العادل ، فامنن عليهما بغفرانك ، يامن وسعت رحمته كل شيء هذه ياحمدي خاتمة رسائلى ، تعالت بفضل الله عن كل مقصد شيء ، فان كان فيها مايرضي الادباء ، ويعجب المتخلقين باكرم الاخلاق فذلك مبتغاي ، احمد الله عليه حمداً دائماً ولي الدين يكن

آثار المؤلف لغاية سنة ١٩٢٥

(دقات على اوتار القلوب) مطبوع

(الليالي العشر) »

(منكر ونكير) »

(السوانح اليوسفية) تنشر تباعاً في مجلة المرأة المصرية وستطبع

(الحظ) ينشر تباعاً في مجلة سركيس »

(حديث الدينار) مؤلف كامل تاريخي اجتماعي خلقي »

(مملكة الخيال) » ادبي خلقي »

(الامة النبيلة) » في العالم العربي »

(العصر الزائل) » رواية في عهد تركيا السابق »

(ديوان حمدي يكن) غزل رثاء، هناء الخ »

obeikandl.com